محمود تيمور

عوالي

مسرحية بالعربية الفصحى

في ثلاثة فصول

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

محمود تيمور

عوالي

مسرحية بالعربية الفصحى

في ثلاثة فصول

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٣٦١ هـ — ١٩٤٢ م

[حقوق الطبع محفوظة للمؤلف]

تطلب من

المكتبة التجارية الكبرى - شارع محمد علي: مصر

لصاحبها: مصطفى محمد

شخصية الأديب

ينخدع القراء عامةً بما يطالِعونَ من آثار المؤلفين والكُتَّاب ، فلا يلبثون أن يتمثَّلوهم فى صورةٍ تختلف عن الحقيقة كبيرَ اختلاف ؛ إذ يُلْبِسونَ شخصياتِهم أثواباً من العظمة والتميُّز تَبْعُدُ بهم عن طبقات الناس على وجه عامّ . وذلك لأن ماتجرى به أقلام الكتَّاب من أفكار ناضجة ، وآراء ثاقبة ، وأسلوب منمَّق ؛ يصبِغُ شخصياتِهم بِصبغة جذَّابة ترفعهم عن مستوى الأشخاص العاديين درجاتٍ فى نظر القراء . فإن اتفق أن يضمّ القارئَ والمؤلفَ مجلس ، وأن يصلَ بينهما حديث ، فسَرعانَ ما تنكشف حقيقةٌ تبعث على الدهشة والعَجَب ، تلك هى أنه ليس بين المؤلفين وسائر الناس

فَرْق عظيم ، بل ليس هناك من فَرْق قطّ ، بل لقد يحدُثُ فى أحيان كثيرة أن يجدَ القارئُ نفسَه — وهو فى حضرةِ المؤلّف البارع — أمام رجل أُلْكِنَ أُوتِيَ حظًّا موفوراً من السذاجة والغباوة والتبلُّد !

والقرّاء على حقّ حين يتمثّلونَ المؤلفين فى تلك الصور الرائعة قبل التعارف ومطارَحَةِ الأحاديث . وكذلك للمؤلفين عُذْرُهم فى أحوالهم العادية التى يبدون فيها للناس عِياناً . والوجه فى ذلك أن المؤلفَ ذو شخصيتين تكاد إحداهما تنفصل عن الأخرى :

الأولى : شخصية المُلْهَم الموهوب ، وهى لا تتوضّح إلا فى حالةِ الاسْتِيحاء . وقديماً علّل العربُ ذلك بأن لكل شاعر شيطاناً يوحِى إليه طريفَ المعانى ومُحْكَمَ القوافى . وما الشيطان فى الحق إلا تلك الحالةُ النفسيةُ التى يتلبَّسَ بها الكاتبُ حين يعالجُ موضوعَه ، فيسمُو إلى أُفُق بعيدٍ يَدِقّ فيه إحساسُه ، ويَرْهُفُ شعورُه ،

وتستنيرُ بصيرته ، فتتجلَّى له حقائقُ الأمور ، وتنكشفُ طوايا القلوب . فالقصصىُّ مثلا ينشئُ عوالمَ مستقلة بأشخاصها ومظاهر وجودها ، ثمَّ يعالجُ الحياةَ فيها ، ويحرِّك الأشخاصَ على النظام الطبيعىّ ، ويدَعُ للغرائز أن تسيْطِرَ ، وللعقولِ الباطنة أن تحسِرَ اللِّثام . ولابدّ — لإجراء هذا على الوجه الصحيح — من أن تجتمعَ للكاتب قدرةُ الإحياء ؛ ومن ثَمَّ يكون أهلًا لما أغدقَه عليه القارئُ من نبوغ وامتياز .

فأما الشخصيةُ الأخرى للمؤلف ، شخصيتُه العاديّة حين يَخْرُجُ من بيئةِ الإلهام ، ويمضى لِطيَّته تهيْمِنُ عليه نزعاتُه الذاتيّة ، وتسيِّره أهواؤه النفسية . فهو فى هذه الحالة رجلٌ عادىّ أو أقلُّ من العادىّ . ولا غَرْوَ أن يكونَ المؤلف كذلك ، فإنه إنسان له مؤثِّرات بيئَتِه وله نزواتُه . فكيف لا تَصْدُرُ عنه الهَنَاتُ الإنسانيةُ التى تَصْدُرُ عن عامَّة الناس ؟

إن المؤلفَ على الصورة التى يُزَيِّنه بها مؤلفاتُه، محدود بساعات إلهامه وأوقاتِ تفكيره . فإذا نَزَعتَ القلم من بين أنامله ، ونَحَّيْتَه من مَهابِطِ وحيه ، عاد شخصا كسائر الأشخاص . وما أقربَ شَبَهَه فى هذا بـ « شمشون » كمَنَتْ سطوتُه فى شعَرِ رأسه ، فلما زال عنه الشَّعَر ذهب ما كان له من قوة وجَبَرُوت !

على أن آزدواجَ الشخصية ليس مقصوراً على الكتَّاب وحدَهم ، بل هو عامٌ فى الناس جميعا ، لكل منهم شخصيةُ العقلِ الباطن وشخصيةُ الإنسان الظاهر ، وهذا ما عالجه المؤلفُ الإنجليزىّ « ربرت لوى استيفنس » فى روايته « الدكتور جيكل والمستر هايد » وما حَفَلَتْ به روائعُ الكاتب الطّلياني « بيرندلو » ...

فالقراء يُكَلِّفُون الفنانين شططا حين يطالبونَهم بأن يعيشوا فى حياتهم الدائرةِ بشخصياتهم الخاصة التى تهيِّئها لهم لوامعُ الإلهام . فإن ذلك لا يَكْمُل إلا

فى القليل النادر ... وهم يخطئون إذ يريدون من كل موسيقىّ مثلا أن يكونَ فى حياته العادية مثالًا كاملا لشخصيته وهو فى ساعات وَحْيِه الفنىّ ، فإنه فى هذه الساعات جياشُ القلب بعواطفَ إنسانية رفيعة لا يلبَثُ أن يُنْكِرَها حين يصحُو من أحلامه ، ويندفعُ فى غِمَارِ الحياة العملية بما لها وما عليها ...

والمنطِقُ الصحيح قد يؤيِّدُ أن يستفيدَ المؤلف من تجارِبِ فطنته وذكائه فى فَهْمِ الطبائع وفى اختبار النفوس ، فلا يقعَ فى خطإٍ يعرفه ، ولا ينتهجَ مسلكا مَعِيبا فى نظره ؛ ولكن الواقعَ يجرى بخلاف ذلك فى الأغْلَب . فالقصصىّ قد يعالج شخصيةً مريضة فى طَوْر من أطوار حياتها ، ويسايرها مسايرةً تشهَد باستنارة بصيرته وقوةِ اقتداره على اكتناه أسرارِ النفس البشرية ، فيكونُ بحكم هذه المعالجة كأنه تَقَمَّصَ هذه الشخصيةَ المريضةَ وعاش حياتَها فاستفاد تجربتَهَا . بيد أن القَصَصِىّ

مع ذلك كلّه لا يكاد يخرج بفائدة ، وربما وقع فى مثل السَّقَطات التى هَوَتْ إليها نفسياتُ أبطالِه ، فإذا به صورةٌ من تلك الصُّوَرِ التى هَزِئَ بها وسَخِرَ ... بل لقد يكشِفُ القصصىُّ عن دائه النفسى فى بعض أحيانه ، ويعرفُه حقَّ المعرفة ، فيُعْنَى بتطبيق نظرياته النفسية أسلمَ تطبيق ، ويفْطُن إلى أطوار علّته وما ينجُمُ عنها . إلا أنه على الرغم من ذلك كله ينساقُ كَرْهًا إلى غرائزه الثابتة ، ويُنَفِّذُ صاغراً ما تُمْلِيه عليه هذه الغرائز . فإن صحا لنفسه ، راح يموِّه أسبابًا ملفَّقَةً يحاول بها الاعتذارَ أمام وِجْدَانِه !

ولعلّ من الخير فى هذا المقام أن نَلْفِتَ النظرَ إلى ظاهرةٍ جديرة بالتنويه ، وهى أن بعضَ الفنانين خَشُوا أن تضيعَ مكانتُهم من أنفسِ القراء إذا ظهروا أمامَهم فى شخصياتهم العادية التى لا عبقريةَ فيها ولا امتياز ، فلجأ هؤلاء الفنّانون إلى استخدام الشذوذِ

الكاذِبِ والتطرُّفِ المصنوع فى حركاتهم واتخاذِهم لألوانٍ من التهريج يُزَخْرِفون بها أشخاصَهم فى الزِّىِّ والشكلِ واللِّقاء والحديثِ . وهمْ بذلكَ يحاولون التقريبَ المظهرىَّ بين الشخصيةِ السِّحْرِيةِ التى يعرفُهم بها القارئُ فى آثار فنهم ، والشخصيةِ العاديَّة التى فُطروا عليها ! ...

محمود تيمور

أشخاص الرواية

عَـوَالِي : فتاة من أسرة نبيلة ، فى الثامنةَ عَشْرَةَ ، فقدتْ أبَوَيها . عاشت بعد وفاة والدها فى قصر الأمير « سِنانِ بنِ آسِر » .

سِنانُ بن آسِر: قائد عربى كبير ، يناهِزُ الخمسينَ ، مبسوطُ القامة ، مفتولُ العَضَل .

طِلال : ابن أخى الأمير « سنان » . شاب فى زَهْرَة العمر .

أبوخَوَنْدة : صديق الأمير « سنان » . شاعر مَرِح .

الخليفة : قارَبَ الستين .

ناصرالدين: وزير الخليفة

رَيِّق : رئيسة الجوارى فى قصر الأمير « سنان » .

الخَيْزُرَان : مِنْ جوارى الأمير «سنان» .

مُتَيِّم : من جوارى الأمير « سنان » .

مَكين : خادم فى قصر الأمير « سنان » .

عِكْرِمة : سَيَّاف الخليفة .

خَدَم .

جوارٍ .

راقصات .

✡ ✡ ✡

تجرى حوادث هذه الرواية فى قُطْر عربىّ ، فى زمن من أزمنة الدُّوَل العربية .

الفصل الأول

(الوقت : مَهْبِط الليل ...

بَهْو فى قصر الأمير « سِنانِ بن آسِر ». أثاث ثمين . طَنافِسُ وأرَائِكُ ووسائِدُ فاخرة . الجُدْران مزيَّنة بأنواع مختلفة من أسلحة العرب : قِسِىّ ، سِهام ، رماح ، دروع ، وما إليها ... تتخللها جلود حيوانات مفترِسة .

الأمير « سنانٌ » جالس إلى مِنضدة يلعب بالشَطْرَنْج مع « أبى خَوَنْدَةَ » الشاعر . وغيْرَ بعيد منهما وقف « مَكِين » يحمل الشَّراب .

يُقْبِل خادم بشَمْعِدان موقَد ، فيضعه على خِوان بالقرب من مجلس الأمير ، ولا يلبثُ أن يخرج .

الأمير طَلْق المحيا ، يرسل بعضَ القهقهاتِ الخفيفة ، و« أبو خَوَنْدَةَ » مهموم يحدِّقُ فى رُقْعةِ الشِّطْرَنْج ...)

سِـــنان (لـ« أبى خَوَنْدَةَ ») : مالَكَ يا « أباخوندة » ؟ هل لكَ فى كأسٍ من خمرٍ معتَّقـة ؟ تلك هىَ فى يدِ الساقى ترحِّبُ بكَ ! (يشير إلى « مكين »)

أبوخَوَنْدَةَ (وهو لم يغيرْ جِلْسَتَه) : لا حاجةَ لى بها ... خَلِّنى وشأنى !

سِـــنان (وهو يحركُ فى تُؤَدَة قِطَعَ الشِّـــطْرَنْج مسترسلًا فى ضَحِكاتِه) : الكأس تصبُو إلى تقبيلِ ثَغْرِك ، والخمرُ تشتهى أن تلامِسَ لسانكَ !

أبوخَوَنْدَةَ (وهو على حاله عابِس) : ألا فَلْيتقطَّعْ لسانى إرْباً إرْباً !

ســـنان (وهو يتابع لَعِبَه) : لسـانُك يتقطعُ إرْباً إرْباً ؟ لا قَدَّرَ الله ! إنه لَيَنطقُ بالروائعِ كلَّ

يومٍ من ساحر الشعر ، أفتريد أن تحرمَنا هذه التُّحَف الغوالى ؟ !

أبوخوندة : أىُّ تحف غوال ؟ دعنا من هذا ، وانظُرْ فيما يُخلِّصُنى من ذلك المأزِقِ الحَرِجِ . . . أكاد أختنِقُ !

ســـنان (متحمساً فى اللَّعِب) : احذر ... السلطان !

أبوخوندة (يَنْقُل قطعةَ الشِّطْرَنج ، ويقول فى صوت هزيل) : ها قدْ حَمَيْتُه !

ســـنان (وهو فى حماسته ، ينقل قطعةَ الشِّطْرَنج) : مرة ثانيةً ... احْذَرْ ... السلطان !

أبوخوندة : أين أذهبُ به ؟

ســـنان (منتصراً) : مات السلطان ... البقية فى حياتِك !

أبوخوندة (وقد دَفَعَ مِنضدة الشِّطْرَنج جانباً) : وَيْكَ من قاتل ... أنتَ أنتَ لا تتغير أبداً ، مع أعدائِكَ قاتل ومع أصحابكَ قاتل ... (يلتفت إلى «مَكِين»)

هاتِ كأساً يا غلام !

(«مكين» يملأ «أبى خوندة» كأساً ، وللأمير مثلها . «أبوخوندةَ» والأميرُ يشربان . . .)

سـنان : وهل تريدُ أن أكونَ رحيمَ القلبِ معكَ ؟

أبوخوندة (وهو يَجْرَعُ الكأس) : وهل تأبى أن تكونَ بأصدقائك رحيمَ القلب ؟

سـنان (وهو يشرب) : نحن فى الدنيا غالبٌ أومغلوب . والفتى الهُمامُ من يَحْرِصُ على أن يكونَ الغالبَ دائماً . . . (يلتفت إلى «مَكِين») : مكين !

مكين : مولاى . . .

سنان : أين «عَوَالى» ؟

مكين : غادَرَتِ القصرَ يامولاى . . .

سنان : غادَرَتِ القصرَ ؟ متى ؟

مكين : إثْرَ قدومِكَ من دار الخلافة يامولاى . . .

سنان : ألم يصْحبْها أحد ؟

مَـكين : خرجتْ هى والأميرُ «طِلال»... كانا معاً فى لَبُوس الصيد .

سنان : اصْطَحَبَتِ ابنَ أخى إلى الصيد ؟ حسن جدا ، اسمَعْ يا «مَـكين» ... اذهبْ من فورِكَ إلى الفارِس «زياد» ، وأَبْلِغْهُ أمرى إليه بالخروج فى نَفَرٍ من الحُرَّاس إلى ساحةِ الصيد فى تِلالِ النُّعْمان ، وألاَّ يعودَ إلىَّ إلا ومعه «عوالى» و«طِلال» ! ... أفاهِمٌ أنتَ ما أقُولُ ؟

مَـكين : أمْرُكَ مطاعٌ يامولاى ... (ينصرفُ « مَـكين »)

سنان (وقد نهَض يذْرَعُ بخُطُواتِه البَهْوَ ، ويداه إلى ظهرِه) : عَصَتْنى وخرجتْ إلى الصيد ...

أبوخَوْندَةَ (وقد جلس جِلْسةَ راحةٍ واسترخاء ، وبيده الكأسُ ، يتكلم كأنه يُناجِى نفسَه) : وهل الصيدُ حرام ؟

سنان : إذا قلتُ إنَّهُ حرام ...

أبوخَوَنْدَةَ (وهو يَصُبُّ الكأس فى فمه) : صار حراما ...
ما منْ ذلك بُد !

سِنان (وهو يَرُوحُ ويجىءُ فى البَهْو) : فتاة لم تَتَخَطَّ الثامنةَ عشْرَةَ بعْدُ ، تركَبُ الخيلَ ، وتصطادُ الوحوشَ ، تَتَشَبَّه بالفُرْسان ! ... لا سلطانَ لأحدٍ عليها ... ولكنى سأعرِف كيف أُحْكِمُ قِيادَها ، وأُحطِّمُ رأسَها ...

أبوخَوَنْدَةَ (فى صوت هادئ كأنه يحدِّثُ نفسَه) : وماذا يَحْفِزُكَ على أن تُحْكِمَ قيادها ، وتحطِّمَ رأسَها ؟ ... (سِنان يَرْمُقُه بنظرةٍ حادَّة) عجباً لكَ ! ... تريد أن تُخْضِعَ الناسَ جميعاً لمشيئتِكَ ؟ أتحسَبُ البيتَ ميدانَ حرب ، وأهلَه جنداً يُساقُون ؟ ! ... تعالَ خُذْ كأساً تطيبُ بها نفسُكَ ... الكأسُ تصبو إلى تقبيلِ ثغرِك ، والخمر تشتهى أن تلامسَ لسانَك ! تعالَ ، تعال!

سنان : صَمْتاً !

أبوخَوَنْدة (يشرب جُرْعةً من الكأس : ويقول) : أطعتُ !

(بعد قليل يدنو « سِنانٌ » من مائدة الشراب ويَجْرَعُ كأساً ، ثم يتابعُ سَيْرَه يَذْرَعُ البَهْوَ بخُطُواتِه)

سِنان : أنتَ دائما لا تُؤَيِّدُ حَقِّى فى هذا الغَضَب ...

أبوخَوَنْدَة : معاذَ الله ! ... كل ما هنالِكَ أنى أراك تغْلو ... مهما يكنْ من أمرِ «عَوَالى» فهى ضَيْفَةُ بيتِكَ ، لا تصِلُهَا بك قُرْبى ولا نَسَب ، فَفِيمَ هذا العَنَاءُ ؟

سنان : لا تنسَ أنها تُقِيمُ معى ، وتعيشُ فى كَنَفِى ... ما أفْرِضُه فى بيتى من نظام لا ينبغى أن يَشُذَّ عنه أحد !

(يدخل « مَكِينٌ » مهرولًا)

مَكِين : قَدِمَتِ الأميرةُ «عَوَالى» مع الأميرِ «طِلال» يامولاى !

سِنان : وماذا صَنَعَ الفارسُ «زِياد» ؟

مَكِين : ماكاد يخرجُ فى جماعةِ الحُرَّاسِ، حتى ألْفَى الأميرةَ والأميرَ مقبِلَيْنِ على القصر ...

سنان . انصرِفْ وادْعُ إلىّ «طِلالًا» و«عَوَالىَ» ...

(ينحنى «مَكين» ، ثم يخرج ...

الأمير يُتابع سيرَه ...

بعد هُنَيْهة تدخل «عَوَالى» خلفَها «طِلال» ، ...

هما فى لَبُوسِ الصيد ... «عوالى» ممسكةٌ قَوْساً تعبَثُ بها)

عوالى (لـ «سِنان») : السلامُ على الأمير .

طِلال (لـ «سنان») : السلامُ عليكَ ياعَمِّى .

(«سنان» يتقدم مُهْتاجاً من «عوالى» ويَنْزِعُ منها القوسَ ، ثم يحطِّمُها ويقذِفُ بها فى

عُرْضِ البَهْو . تنظر إليه « عوالى » مبتسمةً ، وقد عقَدَتْ يديْها على صَدْرِها ، تَتَهيَّأ لاستقبالِ العاصفة)

طِلال : عمى !

سِنان (غيرَ ملتفتٍ إلى « طِلالٍ » ، مخاطباً « عَوَالىَ ») : أمانهيتُكِ غيرَ مرةٍ عن الخروجِ إلى الصيد ؟

عوالِى (بهدوء) : حقًّا نَهَيْتَنى !

سِنان : ولكنك عَصَيْتِنى ...

عَوَالى : أردتُ الخُروجَ فخرجتُ !

طِلال (يدنو من عمه متحمساً) : أنا الذى رَغِبْتُ إليها فى الخروج ، فاللّوْمُ علىَّ لا عليها ...

سِنان (مشيراً إلى « طِلالٍ » إشارةَ الآمِرِ) : تَنَحَّ أنت جانباً !

أبوخَوَنْدَةَ : (مهمهما ، وهو يشرب) : من دَخَل فيما

لا يَعْنِيه يا سيد « طِلال » ، سمع مالا يُرْضِيه

يازَيْنَ الرجال !

عَـوَالى (مخاطبةً « طِلالًا » فى مَظْهَرٍ من السخرية) :

أشكرُ لكَ يا « طِلال » ، ولـكنى لن أقولَ إلا

الحقّ (مخاطبةً « سِنَاناً » فى هدوئها السابق :) أنا

أنا التى حملتُه على الخروجِ معِى ... لقد تمنَّعَ

بادئَ الأمر !

سِنان : حملتِهِ على الخروج ؟

عَـوَالى (وهى مبتسمة) : كان يَخْشَاكَ !

(« طِلالٌ » غاضب يَزْفرُ فى ركن البَهْوِ ،

« أبو خوندةَ » يرسلُ ضحكاتِه الخفيفةَ وهو

يحتسى الشرابَ)

سِنان (مقترباً من « عوالى » ، محدِّقاً فيها ، يقول فى

لهجةٍ أدنى إلى الهدوء) : وأنتِ ؟ ألا

تَخْشَيْنَنى ؟

عـوالى : لِمَ أخشاكَ ؟ ألستَ مثلى بشراً ؟ أنا لا أخافُ إلا اللهَ !

سِنان (وهو يبتسم لها ابتسامةَ استنكارٍ) : وإذا عَلَّمْتُكِ كيف تَخْشَيْنَنى ؟

عـوالى (مبتسمةً أيضاً) : جَرِّبْ مقدرتَكَ !

سِنان (يحتدُّ ثانيةً) : اذهبى الآنَ فاستَبْدِلى بهذا اللُّبُوسِ ثيابَ النساء ! ...

عـوالى (فى قليلٍ من السخرية) : كنتُ على وَشْكِ أن أطلبَ إليك الإذنَ لى بهذا ...

(تحيِّيه ، وتغادرُ البهوَ)

سِنان (يعود إلى ذَرْعِ المكانِ بخطاه ، يواجهُ «طِلالًا») : كيف تركتَ لهذه الفتاةِ أن تضحكَ منكَ وتُرْغِمَكَ على الخروجِ معها ؟

طلال : ترغمنى ؟

سنان : أجل ، اتخذَتْكَ أُلْعُوبَةً لها !

طِلال (مُحْتَجًّا) : عمى ! ماذا تقول ؟

سنان : ألم يكن فى وُسْعِكَ أن تمنَعها من الخروج ؟

طلال : أخطأتُ ياعماه ! أخطأتُ حقًّا ... فاغفِرْ لى هذه المرةَ ، وسترى غداً كيف يكونُ سلوكى معها ... سوفَ أُحسِنُ تأديبَها ... سوف أُحكِمُها ...

أبوخوندة : (لـ « طلال » فى تخابث) : سلُوكُكَ معها معروف ياسيد « طلال » ! ... حسبُك أن تراقبَ أنت قلبك وأن تحكمَه !

سنان : ماهذا الهَذَر ياسكران ؟

أبوخَوَنْدَة : إنَّ من كلامِ السَّكارَى لَحِكَماً تفوقُ أقوالَ العقلاء ... ألا تأخُذُ كأساً ؟ !

طلال (لـ « أبى خَوَنْدَةَ ») : إنى أملِكُ زمامَ قلبى يا « أبا خَوَنْدَة » ... لا تحسبْنى طَوْعَ ألحاظِ الغوانى !

أبوخَوَنْدَةَ : من قالَ إن لَحْظَ « عوالى » قد سَبَاكَ ؟

سِنان : « عوالى » ؟ !

طِلال : اسمعْ يا «أباخَوَنْدَهَ» ... إذا كنتُ مُعْجَباً بـ «عوالى»
فما يُنْسِينى إعجابى بها واجباً عَلَىَّ ...

سِنان (لطِلال) : إعجابُكَ بـ « عوالى » ؟

طِلال : أعْتَرِفُ لك ياعمى صريحاً أنى بها مُعْجَبٌ ...
على ما يُؤْخَذُ عليها من هَنَات ...

أبوخَوَنْدَهَ : احذَرْ عواقبَ هذا الإعجابِ ياسيد «طلال» ...
رُبَّمَا تَحَوَّلَ إلى عاطفةٍ أخرى !

طِلال : وماذا إن تحوَّلَ ؟

سِنان : (فى حَزْم) : « عوالى » ليستْ لكَ ، ولن تكونَ
لكَ يوماً ما ... !

طِلال . لِمَ ؟

سِنان : لأنى نَذَرْتُهَا للخليفة ...

طِلال : للخليفة ؟

أبوخَوَنْدَة : وما شأنُ الخليفةِ فى هذا ؟

طِلال : حقًّا ما شأنُ الخليفةِ فى هذا ؟

سِنان : تَعْلَمَانِ أنى أَلِفْتُ دعوةَ الخليفةِ كلَّ عام فى دارى ، أقيمُ لهُ وليمةً فاخرة ، وأُهْدِى إليه جاريةً من صَفْوةِ جَوَارِىَّ ...

طِلال : ليستْ «عوالى» بجارية ... إنها سليلةُ بيتٍ ماجِد !

سِنان : لافرقَ عندى بين النساء ، كلُّهُنَّ سواء ...

أبو خَوَنْدَةَ (لـ « سِنان ») : إن للصحبةِ ذِماماً يُصَانُ ، ألم تكنْ لكَ بأبى « عوالى » علاقةُ ودٍّ ومحبة ؟ لايجمُلُ أن تَضَعَ «عوالى» فى عِدَادِ جوارِيكَ !

سِنان : سيعرفُ الخليفةُ قَدْرَها ...

طِلال : أهذه وصيةُ أبيها إليكَ ياعماه ؟

سِنان : لقد أوصانى أبوها قُبيْلَ وفاتِه أن أكْفُلَها وأن أُحْسِنَ تربيتَها ... تربيتها ! ... وهل كان فى مقدروى أن أُغَيِّرَ من طباعِها بعد أن أدْرَكَتْ هذه السِّنَّ ؟ لو وُكِلَ إلىّ أمرُها صغيرةً لكان

الأملُ فى إصلاحها قريبَ المَنال . . .

أبوخَوَنْدة : إنها فتاة دَرَجَتْ فى مِهادِ البَدْو ، بعيدةً عن حياة الحَضَر ، فتعوَّدَت الحريةَ والطلاقةَ ، شأنَ بناتِ الأعراب ... كذلك أنشأَها أبوها : القوسُ والرمح ، ومُتُونُ الجِيـاد ، والحيـاةُ الرَّحْبة ، لاحجابَ ولا سِياجَ !

سنان : نسيتَ أن تُضيفَ إلى ماقلتَ طبعَها العنيدَ !

طِـلال (لـ«سنان») : وهل تحسَبُ ياعمى أن الخليفةَ يستطيعُ أن يَرُوضَ أخلاقَها أكثرَ مما نستطيعُ نحنُ ؟

سنان : مازلتَ قاصرَ العقلِ يا«طِلال» !

طِلال : عمى !

سنان : لا شـكَّ أنى أستطيعُ أن أرُوضَ أخلاقَها أكثرَ من أىِّ شخص آخر ، ولـكنى فى شُغُلٍ عنها ... أنا هنا يوماً وفى ساحةِ القتالِ شهراً ... أسمعْ ياطِلال» : خيرُ مكانٍ لها دارُ الخليفة !

طـلال : أذكُرُ أنى سمعتُكَ تقولُ : إنك ستُهْدِى إلى الخليفةفى يومِ الوليمةِ جاريتَكَ «الخَيْزُران» ...

أبوخَوَنْدَةَ : «الخيزرانُ» أصلحُ جاريةٍ للخليفة ، وأوْفَقُ هديةٍ ... فَيْنَةٌ تُحْسِنُ الرقصَ ، وتَحْذِقُ الغِناء ، وتجيدُ روايةَ الشعر . هذا إلى ما تمتازُ به من خفَّةِ الرُّوح فى التنكيت والدُّعابة . فأما مهارتُها فى الدَّلالِ والظَّرْف فحدِّثْ ولا حَرَج ... تلك هى الجاريةُ التى تَرُوقُ الرجلَ وتنزِلُ من قلبِه أسْمَى مكان !

سنان : من أجلِ هذا كلّه اسْتبْقَيْتُها لنفسى . ليستْ «الخَيْزُرانُ» مثالًا للجارية الكاملةِ فحَسْبُ ، ولكنها نَمُوذَجُ المرأة فى أتمِّ صفاتِها ...

طـلال : عجيبٌ ذلك ... أحقًّا أن «الخيزرانَ» استكملتْ صفاتِ المرأة ... ؟

سنان (لـ « طلال ») : ألا تَكْمُلُ المرأةُ فى نظرك إلا

إذا امتشقت السيفَ واشتبكتْ معك فى مُبارَزةٍ وصرَاع ؟

(« أبوخَوندَة » يضحك)

سنان (لـ« أبى خَوَنْدة ») : المرأةُ يا « أباخوندة » لم تُخلَقْ إلا لتكونَ مُتْعةً للرجل ... مُتْعةً وكفى !

أبوخوندَة (لـ« سِنان ») : دعْنا من النظريَّات ... ولكن درْسُك عمليًّا ! مُرْ بـ« الخيْزُران » وغيرها من جواريك يحْضُرْن ، ولنستمتعْ بمجلِسهنَّ ساعة ...

سنان (لـ« طلال ») : نادِ « الخيْزُرانَ » يا « طلالُ » ...

أبوخوَنْدَة (لـ« طلال ») : لا تنْسَ أن تدعُوَ معها الجارية الرشيقةَ : « مُتَيمَ » ... لا تنسَ بربِّكَ ، جَبرَ اللهُ خاطرَكَ !

(يخرج « طِلال »)

سنان (لـ« أبى خَوَنْدَة ») : أتعرفُ يا « أباخوندة » ماهو الفرقُ بين الرجلِ الكاملِ والمرأةِ الكاملة ؟

أبوخَوَنْدَةَ : الأميرُ أعلمُ الناسِ بذلك !

سِنان : الرجلُ الكامل هو من يملِكُ أن يأمُر ،
والمرأةُ الكاملة هى التى تُحْسِنُ أن تُطيع !

أبو خَوَنْدَةَ : نِعْمَ ماقلتَ . . . بيد أن هناك مواقفَ
تستوجبُ من الرجل لِينَ الجانب ...

سِنان : لين الجانب ؟ (يتضاحك)

أبوخوندة : المجربون يقولون : باللِّينِ تُجْتَذَبُ قلوبُ
الغوانى !

سِنان : اللِّين ضعف يا «أباخوندة » . . . والضعفُ
أعجَزُ من أن يجتذبَ القلوب !

أبوخوندة : أتريد أن تفرضَ نظامَ الجُنْدِيَّةِ حتى فى
شئون الحبّ ؟

سِنان : إذا استطعتُ ذلك !

أبوخوندة : إنى لأرى أن نظامَ الجندية بأوامره ونواهيه
إذا تكرَّرَ وَلَّدَ البغضَ فى القلوب ... حاذِرِ

البغضَ يا مولاى !

سِـــنان (يشرب كأساً وهو يضحك مِلْءَ شِدْقيْه) :
البغض أيها الشاعر المتفلسف ما هو إلا لونٌ
من الحب فى مظهَرٍ آخرَ . . . ما أظرفكَ
يا «أبا خوندة» ! . . . (بتهكمٍ) حقًّا إنك لشاعر !

(«مَكِينٌ» يدخل)

مَـكِين : «الخَـيْزُرانُ» و«مُتَيَّم» وبعضُ الجوارى يستأذنَّ
على الأمير . . .

سنان : يَدْخُلْنَ !

(ويخرج « مكين »

بعد لحظة تدخل الجوارى تتقدّمهنّ « الخيزران »
« ومُتَيَّمُ » . . . تحيِّيانِ الأميرَ و «أباخوندة» . . .
تجلس «الخيزران» بجوار الأمير ، تقصد « مُتَيَّمُ »
إلى «أبى خوندة» فتجلسُ بجانبه . . . الجوارى
الأُخْرَيَاتُ يتفرَّقْنَ جالساتٍ على الحشايا)

أبوخوندة (ينشد القطعة الآتية ، مرحِّباً بالقادمات) :

يَا بُدُوراً أشْرَقتْ فى المَحْفِلِ
أنعِشِى الرُّوحَ بشَـدْو البُلْبُلِ
أسْمِعِينـا مِنْ أناشِـيدِ المُنَى
صَوْتَ «دَاوُدَ» ولَحْنَ «المَوْصِـلِى»
رَنِّحِى الأعْطافَ مِنْ سُكْرِ الهَوَى
لسْتُ أرْعَى اليَوْمَ لَوْمَ العُذَّلِ

✡ ✡ ✡

مَنْ كمِثْلِ «الخَيْزُرانْ» تُشْبِهُ الظَّبْيَ الأغَنَّا
كوْكَبٌ بيْنَ القِيانْ يَفْتِنُ الأنْظارَ حُسْنَا

✡ ✡ ✡

تَيَّمَتْ قلبِى «مُتَيَّمْ» وشَـجَتْنى بغِناها
صَوْتُها للرُّوحِ بَلْسَمْ وهْىَ للنَّفْس مُناهَا

سـنان : لا فُضَّ فُوكَ يَاشاعرى !

أبوخوندة : والآنَ يا مولاىَ بأمرِكَ يَبْدأُ المِهْرَجان !

سِنان (ضاحكا) : أىَّ مِهْرَجان تَعْنى ؟

أبو خوندة : مِهْرَجان الطربِ والسرور ، تكريماً للعاشقَيْن الوالِهَيْن ...

(يشير إلى نفسه وإلى « مُتيَّمَ » . الجمْعُ يضحكون)

سنان : فليَبْدَإ المِهْرَجان ، تكريماً للعاشقَيْن الوالِهَيْن!

أبو خوندة (صائحاً) : يا« مَكِين »! ... يا« مكين »! ... إلينا بالشراب !

(ينظر إلى « مُتيَّمَ » نظراتِ الهائم ... يقبِّلُ يدَها ... يترك مجلسَه ويأخذ حَشِيَّةً يطرحُها تحت قدمَيْ « مُتيَّمَ » ويرتمي عليها ...)

سنان (هازلا ، إلى « أبي خوندة ») : ماذا يا« أباخوندة » ؟ أراك لا توافقني على ما حدثْتُكَ به منذُ برهة ! ... الأوامر العسكرية ، أتريد أن تضربَ بها عُرْضَ الحائط ؟

أبو خوندة : العَفْوَ يا مولاي ! ... إني موافقُكَ على كل ماقلتَ ، ولكن مع وَقْفِ التنفيذِ اليومَ فقط !

(يضحك الأمير ... « مَكِينٌ » يدخل بالشراب ،

ويطوف به على الجالسين . تبدأ الدورةُ الأولى من الغِناء والرقص . « أبو خوندة » مُنْتَشٍ يقوم بين الجوارى مترقِّصا . « الخَيزُرَان » تتحبَّبُ إلى الأمير فيلاطِفُها . تنتهى دَوْرة الغناء والرقص . يعود « أبو خوندة » إلى مجلسه من « مُتَيَّمَ »)

الخَيْزُرَان : (لـ « سنان ») : لم تقلْ لى شيئاً فى شأن عِطْرِى !

سِنان : (لـ « لخَيْزُران ») : أليس هو طِيبَكِ المألوفَ ؟

الخَيْزُرانُ : هو هو ، عطرُ الليمون البرِّىّ الذى تَهْواه ...

سِنان : إنه عطر جميل ... دعينى أشَمُّه ...

(يُدْنِى رأسَه من صدرها)

الله ! ماأطيبَه ! ولا سيَّما إذا كان ينفَحُ من صدرِ حسناءَ مثلِكِ !

الخَيْزرانُ : (متدلِّلةً) : مولاى !

(الأمير يداعبُها وهى تتدَلَّل) .

سِنان : ولكن ...

الخَيْزُرانُ : ماذا يامولاى ؟

سِنان : أحب أن تستبدلِي بهـذا العطرِ سواه على أىِّ حال ...

الخَيْزُرَانُ : أستبدلُ به سواه ؟

سِنان : نعم ، نعم ... أريد عِطْراً آخَرَ !

الخَيْزُرَانُ : لقد سَبَقْتَنى إلى ما كنتُ أريدُ إخبارَكَ به ... لقـد جاءنى عِطر نادر من « جَكْمِيرَ » التاجرِ الهندىِّ ، وإنه لذَكِىُّ الرائحة ، ويقال إن عَذَارَى المعابِدِ يتطَيَّبْنَ به دائما ...

سِـــنان : عَذَارَى المعابِدِ ؟ أين هذا العطرُ ؟

الخَيْزُرَانُ (فى خُبْث) : سأتعطَّر به الليلةَ ، وستَعْبَقُ به حجرتى !

سِنان : أحب أن أتَنَسَّمَ هـــذا العِطرَ ، عِطرَ عذارى المعابد ...

أبو خوندة (لِمُتَسِيمَ) : وعطرُكِ ؟ إنه ذَكِىٌّ فَوَّاح ... الله ! ...

مُنَايَ أن أشَمَّه ! . . . (يقتربُ منها)

مُتَيَّمُ (فى دلالٍ وتَمَنُّع) : ألم تقلْ إنه ذكى فوّاح ؟ فلتشمّه وأنت فى مكانك !

(« أبو خوندة » يحاول أن يضمّ « مُتَيَّمَ » إليه ، فيأخذ بيدها)

سِنان (لـ « أبى خوندة ») : على رِسْلِك ! على رِسْلِكَ ! بالأنف يَشَمُّ الناسُ أم باليَدِ ؟

أبو خوندة : بِكِلَيْهِما يامولاى . . .

(« أبو خوندة » يضم « مُتَيَّمَ » ويتشممها ، قائلا :)

الله ! . . . عطر طيِّب . . . عطر جميل . . .

سِنان : (لـ « لْخَيْزُرَانِ » وهو يحيطُها بذراعيه) : إن « أبا خوندة » على حق فيما قال ، ماأجملَ أن تشتركَ اليدُ والأنفُ فى شَمِّ عطرِ الحِسان !

أبو خوندة (لـ « سِنان ») : إن نصائحى غاليةٌ أيها الأمير ، فأَغْمِضْ عَيْنَك واتْبَعْنى تظفَرْ بما تريد !

الخَيْزُرَانُ (لـ « سِنان » ، وهى بين ذراعيه) : ماأقسى

ساعدَيْك ! . . . أنتَ أنتَ ! !

سِنـــان (وهو يحدِّقُ فى عينيها) : وكيف تريدِينَنى أن أتغيّر ؟

الخيزُران : فلتكنْ رقيقَ العِنَاق !

سِنان : تُرِيدِينَنى أن أكونَ فى رقَّةِ « طِلالٍ » مثلا ؟

(يضحك)

الخيزرانُ (ضاحكة) : كلّا . . . كلّا . . .

سِنان : أم تُرِيدِينَنى كـ« أبى خوندة » ؟

أبوخَوندة : أسْمَعُ لَغَطاً عنى . . . فِيمَ ذِكْرُ اسمِى ؟

مُتَـــيّمُ : ليس الحديثُ عنكَ ، إنه فى فلسفةِ العِناق !

أبوخَوندة : إن كان الأمرُ كذلك ، فأنا لها . . .

سِنان : نحن نتحدثُ فى فلسفةِ الحبِّ . . .

أبوخوندة : فلسفة الحب ؟ ومن غيرى بطلُها المِغْوار ؟

الحق أيها الأميرُ أنى مغتبطٌ بهذه الفرصة التى

أراكَ فيها أولَ مرةٍ مبتعداً عن مَيْدانِ الحرب !

سِنان : الأمر بالعكس . . .

أبوخوندة : بالعكس ؟ كيف ؟

سنان : أليس الحبّ مَيْدانَ صِراع كمَيْدانِ الحرب ؟

أبوخوندة : اتَّقِ اللهَ فيما تقول !

الخيزُرانُ : أحبُّ الصِّراعَ فى الحب . . .

سِنان : أسَمعتَ ياأباخوندة » ؟

مُتَـــيَّمُ (لأبى خوندة) : إذن فالخائب فى مَيْدانالحرب يكون خائباً فى مَيْدان . . . ؟

أبوخَوندة (مقاطعا) : دَعِى هذا . . . أتصدِّقِينَ كلَّ مايقال؟

الخيزُرانُ : الأمير صادق فى كلِّ ماينطِقُ به ، والبطلُ بطلٌ فى كل مَيْدان ! (تنظر إلى الأمير) وأنا أحبُّ البطولة . . .

سنان : فَتَّانةٌ أنتِ يا «خَيْزُرانُ» !

الخيزُرَانُ (وقد تعلقتْ به) : أصحيح أنى فتّانة ؟

سِنان (وهو يرفع يديها عن صدرِه بلطف) : حقا فتّانة . . . ألا تصدقيننى ؟

الخيزُران (بدلال): إذا كان هذا حقًّا ، فلِمَ أخلفتَ موعدِى مرةً بعد مرة ؟

سِنان : الموعد ؟

الخيزُران : أجل ، موعد زيارتِكَ لجاريتك « الخيزران » !

سِنان : سأزورُكِ الليــلةَ ... ألَمْ تخبرِينى بأنك ستتعطَّرين بعطرِك الجديد : عطرِ عذارَى المعابد ؟

مُتَــيَّمُ (لـ « أبى خوندة » على حِدَةٍ) : أمن أجلها تكون الزيارة ، أم من أجل العِطْر ؟

أبوخَوَندة (فى شىء من السُّكْرِ ، وهو يتمايل) : العطرُ هو المرأة ، والمرأةُ هى العطر ؛ هما متمازِجان لايفترقان !

سِنان (يرفع صوته) : هيَّا ابدءوا الدورةَ الثانيةَ من الغِناء والرقص ... هَلُمُّوا ، هلموا ... هاتُوا الشراب !

(يُطافُ بالكئوس على الجالسين)

أبوخَوَندة : ألم تسمعوا ... هلموا ، هلموا ...

(يَضْطَجِعُ ضِجْعَةَ استرخاء ، ويقول :)

لاقيمةَ لشيءٍ فى الدنيا سوى الحظ ...
فليَحْيَ الحظّ !

(يعود الغناء والرقص ثانيةً ... « أبوخوندة »
يُسرِف فى الشراب ... يبدو على الأمير « سِنانٍ »
رُوَيْدا بعضُ مظاهر الملل ، فيلاطف « الخيزران »
ملاطَفةً متكلَّفة ... يزداد مللهوضيقه ... ترغب
« الخيزران » فى أن تُسَرِّىَ عنه ... يعاملُها فى جَفْوَة)

مُتَـــيِّمُ (تقول لـ« أبى خوندة » على حِدَةٍ أثناءَ الغناء) : ألا
تلاحِظُ على الأمير أنه ضَجِرٌ ؟

أبوخوندة (فى سُكْر) : مالَنا ولهـذا ؟ ضَجِرٌ أو غيرُ
ضجر ... أحكام عسكرية أو غيرُ عسكرية ...
لاشأنَ لنا بشىء من هذا كلِّه !

مُتَـــيَّمُ : لاترفَعْ صوتَك هكذا ...

أبوخوندة: ماذا تقصدين ؟ تريدين أن أُلجِمَ فمى وأعْقِلَ لسانى ؟

مُتَـــيَّم : قلتُ لكَ : اخْفِضْ من صوتك !

أبوخوندة: لن أخفِضَ صوتى ... سأتكلم كما أشاء ، ومتى أشاء ، وكيف أشاء ! ... وسأرى ماذا أنتِ فاعلةٌ ؟ ... أُقسِمُ لكِ إنْ لم تسكتى لأسْلُكَنَّ معك ماأوصَى به الأميرُ ، أتعلمينَ بماذا أوْصَى ؟

(ينظر إليها مَلِيًّا ، ثم يبتسم ... يُمسك يديها ، يقبلهما فى حرارة ، يتابع حديثه :)

أوَ صدَّقْتِ ماقلتُ ؟ إنى مستعد أن أتلَقَّى أوامرَكِ وأُنفِّذَها على عَجَل ... مُرِى أُطِعْ ... مِن أجل عينيك كلُّ صَعْب يهون !

(« أبو خَوَندةَ » يتحرك حركاتِه وهو جالس

بجانب «مُتَيَّم» ، فيختلّ توازُنه وينقلب به المقعَد ،
فيسقط ويُحْدِث صوتاً مزعجا)

سِنان (وقد وقف صائحا) : ماهذه الجَلَبَة ؟

(تتوقف الموسيقى والغناء والرقص .

«مُتَيَّم» تقصد حيث سَقَط «أبوخوندة» فتساعدُه
على النهوض . الأمير يصيح :)

ماهذه الضَّوضاء ؟

أبوخوندة (وهو يحاول النهوض) : الذى سقَط وأحدث
هذا الصوتَ هو حضرتى ... لاتخشَ علىّ بأسا ...
لم أُصَبْ والحمدُ لله بسُوء !

سِنان (ثائرا) : أُصِبْتَ أولم تُصَبْ ، هكذا أنتَ وهذا
شأنُك ، لاتفتأُ تشربُ حتى لاتَعِى ...

(يشير إلى فرقة المغنيات والراقصات ، ويقول :)

كَفَى ! ... انصَرِفْنَ !

(الجوارى يخرجن ، ماعدا «الخَيْزُرَانَ» و«مُتَيَّم»)

الخيزُرانُ (وهى تلاطِفُ الأمير) : أنت عَصَبىّ شيئاً ...
دَعْنِى أُحضِرْ لك قليلا من ماء الزهر !

سِنـــان (وقد قام ساخطا) : لاأريد ... لاأريد ...
خَلِّينى وَحْدِى !

الخيزُران (بذلة) : تَعْنِى أن أخرجَ ؟

سِنان (فى مَلَل) : كما تُحِبِّينَ ! (يسير مضطربا فى البَهْو)

أبوخوندة (لـ « لخيزُرَانِ ») : أتكونينَ قد أسأتِ السياسةَ فى شئون الحبِّ والدلال ؟

الخيزُرانُ (تنفجر باكية) : بذلتُ مافى وُسْعِى لإرضائه ...
(« مُتَيِم » تذهب لمُؤَاساة « الخيزران » ، فتبكى « الخيزُرَان » على صَدْرِها)

أبوخوندة (مُغَمْغِماً) : والله إنى لأَرْثِى لهذه الحسناءِ !
(يتقدم من الأمير بخطا متعثّرة ، يقول له :)
أنا أحتجُّ عليك يامولاى ! ... أحتج عليك احتجاجا صارخا ... ولتفعلْ بى ماتشاء !

سِنان : صَهِ أيها الثَّمِلُ ... واتجلسْ !

أبوخوندة (وهو لا يكاد يقيمُ نفسَه) : لن أسكتَ، ولن أجلسَ

(لا يكاد يُتم جملته ، حتى يسقطَ على إحدى الحشايا ، وهو يغمغم :)

قلت لن أجلسَ !

(هذا المنظر يرفّهُ عن الأمير شيئاً ، فيبتسم - « أبوخوندة » يتابع حديثه :)

ماذا صنَعَتِ «الخَيْزُرَان» حتى تَلْقى من غضبك ما لَقِيَتْه ؟

سِنان (ينظر إلى «الخَيزُرَانِ» فيجدها تكفكِفُ دَمْعَها) : إنها لم تصنَعْ شيئاً يستوجبُ غضبي ... إني لستُ غاضباً عليها !

(«الخَيزُرَانُ» تبتهج ، الأميرُ يتابع كلامه :)

تعالَيْ يا «خَيزُرَانُ» ...

(تتقدم منه ، يمسك يديها ملاطِفاً)

من قال إنى غيرُ راضٍ عنكِ ؟

الخيْزُرَانُ : ظننتُ ذلكَ يامولاى ...

سِـــنان : أنتِ مخطئة ! ... ألا تعرِفين أنكِ المُفَضَّلة عندى ؟ لقد اجتمعتْ فيك كلُّ مزايا المرأة : أُنوثَةٌ حيَّة ، رقة بالغة ، لِينٌ فى الطبع يَنْدُرُ أن يوجَدَ !

الخيزُرانُ : مولاى ...

سِـــنان (لـ«أبى خوندة») ليس فيهاشىء من طِباعِ الرجال ، أبوخوندة : إذن فلتَطْبَعْ على جبينِها قبـلة ... عَرَبُونَ المحبة !

(الأمير و«الخيزُرانُ» يضحكان)

سِنان (لـ«الخيزُرانِ») : فلتُطِعْ «أباخوندة» !

الخيزُران : مولاى !

(يتقدم «سِنان» لتقبيلها . يُسمع ضجيج . صوتُ «عوالى» وهى تصيح . «سِنان» يُحْجِم عن تقبيل

«الخيزُرانِ» ويتركها جانباً)

سِنان (صائحاً) : أُفٍّ ، «عوالى» ، «عوالى» ... دائما «عوالى» ... ما هذا الإزعاج ؟

(تدخل «عَوَالِى» و«رَيِّقُ» رئيسةُ الجوارى)

عوالى (لِسنان) : أخبرَتْنى «رَيِّقُ» أنكَ أمرتَها بجَمْع سهامى وتكسيرها ... أصحيحٌ هذا ؟

سِنان (فى حِدَّة) : نعم ، هذا صحيح !

عوالى : كيف ذلك ؟

(«أبوخوندة» يتحامل على نفسه ، تساعده «مُتَيِّمُ» ؛ يتسلَّل من البَهْوِ ومعه «مُتَيِّمُ» و«الخيزُرانُ» ناجِياً بنفسه من المشاحنات)

سنان : أمْرٌ أمَرْتُه ... وليس على «رَيِّقَ» إلا الطاعة !

رَيِّقُ : قلتُ لها ذلك ، وأجْهَدْت نفسى فى إفهامها ، ولكنها أبتْ إلا أن تُقِيمَ القيامةَ علينا !

عوالى (وقد عَقَدَتْ يديها إلى صدرها ، تقول فى صوت

رَصين) : سهامى لا تُكَسَّر ولا تُرْمَى !

سنان (صائحاً بشدَّة) : أمرى واجبُ الطاعة !

عوالى (وهى لا تزال عاقدةً يديها إلى صدرها ، بعد فترة قصيرة تقول متخابثةً فى صوت هادئ كأنه طبيعى) : أنا لأمرك مطيعة !

سِنان (ينظر إليها متعجِّباً) : وما دُمْتِ كذلكِ ، فلِمَ العنادُ إذن ؟

(«رَيِّقُ» تنصرف)

عوالى (فى تخابُثٍ أيضا) : أوَ تَحْسَبُنى أخرجُ للصيد من أجل نفسى ؟

سِنان : من أجلِ مَن إذن تخرُجِينَ ؟

عوالى : من أجلِكَ

سِنان : من أجلى أنا ؟ شىء لطيف ! وكيف ؟

عوالى (فى تخابُثٍ ظاهر) : وحياةِ رأسِكَ من أجلِكَ !

سِنان : ألا توضِّحينَ لى ذلكِ ؟

عـــوالى : بى رغبةٌ فى أن أصطادَ لك شيئاً ...

سِنـــان : تصطادين شيئاً لى ؟ ... لى أنا ؟ ! ... أوَلا أعرف أن أصطادَ ؟

عـــوالى : عَفْوًا أيها الأمير ! ... لاأريدُ هذا ... أحبُّ أن أقولَ إنى أشتهى تقديمَ شىء إليك من صيدى هديةً ... وأكبرُ ظنى أن سيكون للهديةِ قيمةٌ عندكَ لأنها منِّى !

(الأمير يغمغم ، يروحُ ويجىءُ أمامها .

تتابع « عوالى » كلامها :)

من عادتنا نحنُ أهلَ الصحراء أنه إذا نَشِبَ بين اثنين منا نِزاعٌ كان سبيلُ التوفيقِ بينهما أن يقدّمَ أحدُهما إلى الآخَرِ هديةً من صَيدِه !

سِـــنان : نِزاع ؟ وهل ثَمَّةَ نزاعٌ بيننا ؟

عـــوالى : لعلِّى لم أُحسِن التعبير عما أريد ! ... النزاعُ إنما يكون بين المتكافِئَيْن ، أما الذى بينى

وبينكَ فلتُسَمِّه عِصيانَ تابِع لمتبوع !

سِنان (معترضا) : وهل تعُدِّينَ نفسَكِ تابعةً ؟ أنتِ ابنةُ أميرٍ ظَل طولَ حياته من أخلصِ أصدقائى !

عــوالى : حقا أنى ابنةُ أمير ... كنتُ فى حياته إذا خرجتُ إلى الصيد تَبِعَنى عشراتٌ من الخَدَم يأتَمِرونَ بأمرى ، ومتى رجعتُ إلى القصر ألْفَيْتُ عشراتٍ من الوصائف يتسابَقْنَ إلى تلبيةِ إشارتى ... كنتُ حقا ابنةَ أمير ، أما اليومَ فإنى فى عِدادِ جواريك !

سِنــان : «عوالى» ! «عوالى» !

عــوالى : ألستُ على حقٍّ فيما أقول ؟

سِنــان : إذا كنتِ تَرَيْنَنى أتشدَّدُ فى معاملتِكِ ، فما بنفسى أن أُهينَكِ ، إنما أعمَلُ لصالِحِكِ ... أنتِ وديعةُ أبيكِ عندى ، فمحافَظَتى عليكِ واجبٌ أحرِصُ عليه ...

عوالى : إنك تَحُدُّ من حُرِّيَّتى بهذه المحافظة ...

سِنان : حريتِك ؟ ماذا يَنْقُصُكِ فى هذا القصرِ الرَّحْب ؟

عوالى : ينقُصنى كلُّ شىء : ينقُصنى الهواءُ الطَّلْق ، ينقُصنى الفضاء الفسيح ، ينقصنى ألا أسمعَ أحداً يأمُرُنى بشىء ويَنْهانى عن شىء !

(«سِنانٌ» يقهقه فى عَظَمة)

سِنان : ماتزالينَ طفلةً يا «عوالى» !

عوالى (فى غضَب كظِيم) : ولكنَّ لهذه الطفلةِ أظفاراً مسنونةً كرءوسِ الحِرَاب ، فهى تستطيعُ بها أن تَجْرَحَ ...

سِنان (يقهقه أيضاً) : أؤكد لكِ أنكِ لن تستطيعى أن تجرَحى بها أحداً !

عوالى : تَعْنى أنك ستقلِّمُ هذه الأظفارَ ؟

سِنان : غداً ترَيْنَ !

عوالى (تعود فتعقِد يديها إلى صدرها ، وتتظاهر بالهدوء

والدُّعابة) : لم تسألنى ماذا اصطدتُ لك ؟

(«سِنانٌ» يَذْرَعُ البَهْوَ بخُطواتِه جِيئةً وذُهوباً . بعد هُنَيْهَةٍ تتابع «عوالى» كلامَها :)

اصطدتُ لك نَمِرَةً !

سِنان (يلتفتُ إليها) : نَمِرَة ؟

عوالى (مبتسمةً) : نمرة صغيرة فى وَدَاعةِ الطفل ! ... ليست بالنَّمِرَةِ المفترسة !

سِنان (وقد قصد إليها ووقف قُبالَتَها) : أَلِيَ اصطدتِ هذه النَّمِرَةَ ؟

عوالى : نعم ، لأقدمَها الك هديةً يزولُ بها ماهو قائمٌ بيننا من نِزاع ...

سِنان : شيءٌ ظريف ... تُرَى هل لهذه النَّمِرَةِ أيضا أظفارٌ مسنونة كرُءُوس الحِرابِ ؟

عوالى : بل أحدُّ من رءوسِ الحِراب

سِنان : إذن لن يزولَ النِّزاع ...

عوالى : إذا أحسنتَ سياستَك مع النمرَة ، فإنها لن تستخدِمَ أظفارَها ...

سنان (هازئا) : أظفارَها ؟ سأعرفُ كيف أَروُض نَمِرَتَكِ هذه ؛ وأين هى الآن ؟

عوالى : وضعتُها لك فى قفصٍ على باب حجْرَتك ...

سنان (يضحك فى تهكّم) : فى قفصٍ ؟

(يضحك أيضاً ، « عوالى » تضحكُ معه ...

« سِنانٌ » يتابعُ كلامَه :)

وأنا أيضاً سأقدّم لكِ هديةً ، ولكن لا اتصالَ لها بالنزاع الذى كان بيننا ... هذا النزاع لقد زالَ وانتهى ...

عوالى : لأىّ مناسبةٍ تقدّمُ لى الهديةَ إذن ؟

سنان (بعد صمت) : هدية فى مناسبةِ زواجك ...

عوالى (فى دهشة) : زواجى ؟

سنان : أجل ، زواجك ... هذا ماأفكّر فيه دائما ؛ ... علىَّ أن أرْعَى مافيه مصلحتُك !

عوالى : ومن أخبرَكَ أنى راغبةٌ فى الزواج ؟

سنان : كلُّ فتاة فى مثل سنِّكِ تتمنَّى أن تتزوج ، ولكن العقبةَ فى العثور على من يَرْضَى عن طبعِكِ ويحتملُ أخلاقَكِ ...

عوالى : لا تُتعِبْ نفسَكَ! أنتَ ... سأتولّى أنا اختيارَ من أريد !

سنان : ومن هو الذى تريدينَ ؟

عوالى : احْزُرْ !

سنان : لا بدَّ أن يكونَ أميراً ثَرِيًّا يستجيبُ لكلِّ ما تطلبين ، ويَحْنِى هامتَه أمامكِ فى خشوعٍ وخضوع !

(«عوالى» تلْوِى شفتيها وترسلُ ضِحْكةً مُبْهَمَة ... صمت ... كل منهما يحدِّق فى الآخر ..

بعد برهةٍ يتكلم «سِنَانٌ» :)

سِنان : لماذا سَكَتِّ ؟

عوالى (مبتسمةً) : أبحثُ عن الزوج الذى يلائمُنى !

سنان (يمسك يديها وهو واقف قُبالَتَها يتطلّع إليها طويلا، ثم يقول :) تبحثينَ عنه وحدَكِ ؟ ولماذا تنفردينَ بذلك ؟

أبوخَوندة (صائحا من الخارج) : أغيثونى، أدْرِكونى... أوّاه... النجدةَ ! النجدةَ !

(يدخل البَهْو، وهو ينفُخ فى إصْبَعِه تارةً، ويمسَحه بالمنديل تارةً أخرى ...)

أغيثونى ! ... أكذا نتعرَّضُ للهلاكِ فى هذا البيتِ ولا من مُغيثٍ ؟

سِنان : ماذا جرَى لكَ ؟

أبوخَوندة : أما كفاكَ أن تحشُدَ البيتَ سيوفا ورِماحا، حتى تأتِىَ بنَمِرَةٍ تُتِمُّ بها عُدَّةَ الهلاك ؟

سِنان : النَّمِرَة ؟ ماذا فعلتْ بكَ هذه النَّمِرَةُ ؟

أبوخوندة : عضَّتْنى يا أميرَ الأمراء... انظُرْ ! . .

(يَمُدُّ إصبَعَه ... «عوالى» تقهقه)

أمسرورةٌ أنتِ بأن النَّمِرَةَ أدْمَتْ إصبَعى ؟

شىء لطيف !

سنان : إنها هديَّتُها !

أبوخوندة (لـ«عوالى») : من أجل ذلك تضحكِينَ !

عوالى : النَّمِرةُ حَبِيسةٌ فى قفصها ، فما عضَّتْكَ إلا لأنكَ عاكستَها ... هى لا تَعَضُّ إلا من يسىءُ إليها ...

سِنان : أواثِقةٌ أنتِ من أنها لا تَعَضُّ إلا من يسىء إليها ؟

عوالى : كلَّ الثقةِ يا مولاى ! ... لا أحدَ يَعَضُّ إلا إلا من يُشاكِسه !

أبوخَوَنْدَةَ : قَسَمًا لم أسِئْ إليها ... لقد كنتُ ألاطِفها وأدلِّلُها ...

سِنان : يبدو أنها لاتفرِّقُ بين التدليل والمشاكسة ، هكذا المرأة ، إنها مخلوقٌ عجيب لاتدرى : كيف تُرْضِيه ؟

أبوخَوَنْدَة : حقا إن المرأة لغز مُعَقَّد لم أهتدِ حتى الساعة إلى فهمِه !

عـوالى : ولن تفهموه أبدا ...

أبوخَوَنْدَة : إنى لأُسائلُ نفسى : لم جِئْتِ بهذه النَّمِرةِ ؟

سِنان : لِيَحْوِىَ البيتُ نَمِرَتَيْن !

عـوالى : ولم لايكون فى البيت نَمِرتانِ ؟ إنهما أُنْثَيان ، فلا تُخِيفانِ أحداً ...

سِنان : حقّا لاتخِيفان ، كلُّ ما هنالك أنهما تُقْلِقان الراحةَ ...

أبوخَوَنْدَة : وهذه النَّمِرة ؟ هل تبقَى بلا نَمِـرٍ ؟

سِنان : قلْ لـ«عوالى» تَصْطَدْه ! ...

عَـوَالى : اصطَدْه أنتَ !

سنان : أصطادُه لأُهْدِيَه إليكِ ؛ أليس هذا ما تَبْغِين ؟

عوالى : قبلتُ الهديةَ ، فعليكَ بها !

أبوخَوَنْدَة : ولكنى أرى أن نَمِرَةً ونَمِراً معاً لا يُؤْمَنُ بينهما الوِفَاقُ ...

عوالى : ولم لا يُؤْمَنُ الوِفاقُ بينهما ؟

أبوخوندة : سوف لا يَهْدَأُ بينهما عِرَاك ...

عَوَالى : ماداما من فصيلةٍ واحدة ، فلمَ لا يتفقان ؟

سِنان : لأن الحِدَّةَ غريزةُ النُّمورةِ ...

عوالى : على أيَّةِ حالٍ سيتغلَّبُ أحدُهما على الآخَر !

أبوخَوندة : وحينئذ يتمُّ الصلحُ ويسودُ الوِئام ...

سنان : أظن أنه لا يقومُ هذا الصلحُ إلا إذا خضعتْ النَّمِرةُ للنَّمِر ...

عوالى : إذا أثبتَ النَّمِرُ قدرتَه على التغلب ، فعلى النَّمِرةِ أن تُذْعِنَ ... ولكن ...

سِنان : ماذا ؟

عـوالى : أشكُّ فى أن الفَوْزَ للنَّمِر !

سِـــنان : غريبٌ منكِ هذا الكلامُ ...

عوالى : أنا على ثقةٍ من أن النَّمِرةَ لن تُغْلَب !

سِنان : وأنا على ثقةٍ من أن النَّمِرَ ان يُغْلَب !

أبوخوندة : وإذن يظلَّ العراك ناشِباً كما قلتُ . . .

عوالى : وهل هناكَ بأسٌ فى أن يكونَ عراكٌ ونضالٌ وحرب ؟

أبوخوندة : يا لطيفُ . . . يالطيف !

سِـــنان : وهل تَعُدِّينَ حياةَ العِراك والنضالِ والحرب حياةً طيبة ؟

عوالى : ولم لاتكون طيبة ؟

أبوخوندة (لـ «سنان») : أحْرَى بك بدلاً من أن تصطادَ نَمِراً تقدمُه هديةً لـ «عوالى» ، أن تتخيَّرَ لها عَروساً من الفوارِسِ الشُّجْعانِ !

سِـــنان : أنا مستعِدٌّ ! . . .

عـوالى : أشكرُ لكَ ، وهل تعرف ذوقى فى الاختيار ؟

سِـنان : أعرفهُ حقَّ المعرفة ... سأقدم لكِ فارساً شجاعا ، ولـكنك ستَصْرَعِينَه فى أولِ جَوْلة !

أبوخوندة : لقد فَهِمْتَ «عوالى» كلَّ الفهم ...

سِـنان (لـ«عوالى») : غير أنى أعْجَبُ كيف تعاشِرِينَ مغلوبا ؟

عـوالى : لكَ حق فى هـــذا العَجَب ، ولا جوابَ لى على سؤالِكَ إلا أننى لم أجربْ معاشَرَةَ المغلوبين !

أبوخوندة : جائز أن تُحِبِّى هـذا المغلوبَ ، وجائز أيضاً أن تـكرَهِيه ... أليس كذلكِ ؟

عـوالى : قلت لكَ لَمْ أجربْ !

أبوخوندة : لقد حِرْنا فى أمْركِ ، ما ندرى كيف نُرْضِيكِ ؟

عـوالى : ولم تُرِيدُونَ إرضائى !

ســـنان : عنايةً منا بهنائِكِ وإسعادِكِ !

أبوخوندة : ومن أجل ذلك لابد أن نبحثَ لكِ عن عَرُوس

مهما تكنْ مهمَّتُنا شاقَّةً ...

عـوالى : أنتم الذين ستبحثون عن العَرُوس ؟

(تضحك) أشكرُ لكم ... لا داعىَ لهذا ... !

أبوخوندة : لاداعِىَ ؟ كيف ذلكِ !

عـوالى : لأنه لا يعرفُ ذوقى سواى . . . أنا التى ستبحثُ عن عروسِها ، وأنا التى ستعثرُ عليه !

سِـــنان : أواثقةٌ أنك ستجدِينَه ؟

عـوالى : أراهِنُكَ على أنى سأجِدُه ... سترى !

سِنان (ملتفِتاً إلى « أبى خوندة ») : غدا نرى !

(يضحك) .

عـوالى : قلت لكما سأُلاَقِيهِ ، فإلى الغدِ ...

ستارة

الفصل الثانى

(المنظرُ السابقُ نفسهُ ، على شىء من التعديل :
البَهْو فى حُـــلَّة جديدة ، استعداداً للحفلة التى
يقيمها الأمير احتفاءً بالخليفة ... يدخل
«طِلالٌ» و «عوالى» ، وهما فى لَبُوسِ الصَّيْد)

عـوالى (مبتهجة ، تضحـك فى صوت خافت بعضَ
الخفوت) : لقد كان صيداً مُوَفَّقاً هذا اليومَ ...
أرأيتَ الأسدَ الذى رَمَيْتُه بالسهم ؟ لابد أن
أكونَ قد أصبتُ منه مقْتَلا !

طِـلال : مؤكَّد ، لقد أصبتِ منه مَقْتَلا ...

عـوالى : ولـكن لم يكن لنا حظٌ إدراكه ... فَرَّ فى مغاوِرِ
الجبل ...

طِـلال : صحيح ... فَرّ فى مغاوِر الجبل !

عـوالى : آثارُ الدم على الأحجار والصخور تؤيدُ ذلك ...

طِـلال : وهل فى ذلكِ شكٌّ ؟

عوالى (مفـكّرةً) : ألا يكون هذا الدمُ دَمَ حيوانٍ آخرَ ؟

(مفـكرةً أيضا) لا أظنُّ ... لا أظن أبدا ! ...

طـلال : لا أظنُّ أبدا ... لا أظن أبدا ...

(تظهر على «عوالى» أمارات الضِّيق، تسير بِضْعَ خُطُوَاتٍ متململةً. «طِلالٌ» يقول :)

ألا تُسْرِعِينَ باستبدال ثيابِك قبل أن يراكِ عمى ؟

عـوالى : أَسْرِعْ إلى ذلكَ أنتَ قبل أن يراكَ عمُّكَ !

طِـلال (متظاهراً بالشجاعة) : ولماذا أستبدلُ ثيابى ؟ أنا لا أخشَى أحداً ...

عـوالى : كيف لا تخشَى أحدا والفزعُ يملأُ نفسَكَ ؟

طِـلال : الفزع يملأ نفسى ؟ ما هذا الـكلامُ يا «عوالى» ؟ أنا أخشى عليكِ من عمى ...

عـوالى : أشكـر لكَ ... أفسدتَ علينا الصيدَ بهذا

الخوف ... كلَّ لحظة تقولُ : عمى ، عمى ...
صَدَّعْتَ رأسى بعمكَ هذا ... الرجل لابد أن
يكون أشجعَ من ذلِكَ !

طـلال : أوتشكِّينَ فى شجاعتى بعـد ما كان من عملى اليوم ؟ سَهَّلْتُ لكِ كلَّ شىء : جئتُ لكِ بلَبُوسِ الصيد خُفْيَةً ، أحضرتُ لكِ قَوْسَك الأخرى بعد جَهْدٍ وعَناء ، أعددتُ لكِ الخيلَ وركبتُ معكِ متعرِّضاً لسُخْطِ عمى ... كلُّ هذا ولم أحظَ برضاكِ بعدُ !

عـوالى (وهى تنظر إليه) : ولِمَ لَمْ تمنعْنِي من الخروج ؟

طِلال (مدهوشا) : لِمَ لَم أمنَعْكِ من الخروج ؟! أوَكنتِ تنتظرينَ أن أمنَعَكِ ؟!

عوالى : أجِبْنى : لِمَ لَمْ تمنَعْنى من الخروج ؟

طِلال : لأنكِ كنتِ متشوقةً إلى الخروج ، راغبةً فى الصـيد !

عوالى : أوَ يُهِمُّكَ أن تجيبَنى إلى مطالِبى ؟

طِلال : يُهِمُّنى أن تكونى مسرورةً راضيةً ...

عوالى (فى شىء من الخُبْثِ) : أشكرُ لكَ عواطفَكَ ... أنت طيبُ القلب جدًّا ...

طِلال (متقدمًا نحوَها ، وقد أمسكَ يَدَها) : أنا مستعد أن أبذُلَ نفسى فى سبيلِ إسعادِكِ ...

عوالى : متشكرة ... أعْرِفُ نبيلَ إحساسِكَ !

طِلال : مُرِينى بأىِّ شىء تجِدِينى طائعًا على الدوام ... امْتَحِنى إخلاصى ووفائى ... (يريد أن يرفعَ يَدَها إلى فمه ليقبلَها ، تجذِبُ يَدَها فى شىء من المضايقة ، ينظر إليها مدهوشا :) مابِكِ ؟

عوالى (بسخرية) : أريد استبدالَ ثيابى قبلَ مجىءِ عمك !

طِلال (ثائراً ، غاضبا) : تستبدلين ثيابَكِ ؟ حسن ... اذهَبى !

عوالى (فى خبث وسخرية) : هل ساءَكَ كلامى ؟

طلال : ماذا تنتظرين ؟ اذهبي فغيِّرى ثيابَك !

(تقبل عليه ، وتلاطِفُ كَتِفَه كما يلاطِفُ الكبيرُ الصغيرَ)

عوالى : حقا إنكَ طفل !

طلال : أطفلٌ أنا ؟

عوالى : نعم ، طفل ... تستحقُّ الرِّفْقَ والتَّلطُّف !

طلال : حسبى منكِ ماسمعتُ ! ...

(يسير لحظةً جيئة وذهابا)

هل تعرِفين يا«عوالى» أنكِ تَخْسَرِينَ كثيراً إذا خَسِرْتِنى ؟

عوالى (فى استهزاء) : حقاً أَخْسَرُ كثيراً ... ولكن مامعنى هذا الكلام ؟

طلال : معنى هذا أن عمى يريد التخلُّصَ منكِ ... سيهديكِ إلى الخليفة !

عوالى : يُهْدِينى إلى الخليفة ؟ (تقهقه مستهزئة) سمعت أطرافَ حديثٍ فى هذا من « الخَيْزُرَان » ...

طِلال : سيهديكِ إلى الخليفة كما يُهْدِى « الخَيْزُرَانَ » مثلاً أو « مُتَيَّمَ » !

عوالى : « الخَيْزُرَان » أو « مُتَيَّم » ؟ (تفكر) ذَكَّرْتَنِي ... ما لـ « لخيزرانِ » ومالِي؟ دائما تنظُرُ إلىَّ نظرات بغيضةً ... أهى تظنُّ أنى أنافِسُها فى أحدٍ هنا؟ ... ليس فى هذا البيتِ أحدٌ يُعْجِبُنى !

طِلال : صحيح ، حتى أنا ... (إشارةُ نَفْى من «عوالى») أنا الذى سأُنقِذُكِ من الوَرْطَةِ التى أنتِ فيها ...

عوالى : كيف ذلكَ ؟

طِلال : إنى مستعد أن أصارِحَ الخليفةَ بأنى أُحِبُّكِ ، وأنى أرغَبُ فى الزواجِ بِكِ ...

عوالى : أنتَ شريفُ الإحساس يا «طِلالُ» ... غيرَ أنى لاأريدُ منكَ هذه التضحية ...

طلال : ليستْ هذه تضحيةً يا «عوالى» ، إنما هى ...

عوالى : فَهِمْتُ ... فَهِمْتُ ... ولكن ...

طلال : تَعْنِينَ أنكِ تَرْفُضين حبي ؟...

عوالى : أنا لمْ أقلْ لا أو نعم !

طلال : يجوز أن تكونَ أُبَّهَةُ الخلافةِ سحرتْ عينَكِ ...
ولكن يَقِى أنك ستَحُلِّينَ عند الخليفةِ مَقامَ الجارية ... أما عندى فأميرة !

عوالى : أنا أميرةٌ فى كلِّ مكان يا «طلال» ...

طلال : تقصِدين أنك قبلتِ اللَّحاقَ بالخليفة ؟

عوالى (فى هدوء يُخالِطُه كِبْرِياءُ) : إذا كان الخليفة يَرُوقُنى !

(تُسْمَع أصواتٌ خارجَ الرَّدْهة)

طلال (وهو يتسَمَّع) : أُناسٌ قادِمُونَ ... صوت عمى بينهم !

(«عوالى» غيرُ ملتفتة ، منسرحةٌ تفكِّر)

قلتُ لكِ أناسٌ قادمون ... يذهم عمى ... تنبّهى !

عوالى : ماذا يُهمُّ ؟

طِلال (وهو يدفعها لتخرجَ معه) : لاتمزَحِى ... هيّا ... هيّا ...

(يخرجان ... بعد هُنَيْهَة يدخل الأميرُ «سِنانٌ» وخلفَه «مَكِينٌ» و«رَيِّقُ»)

سِنان (ملتفتاً حولَه) : هل رتّبتُمُ البَهْوَ ترتيباً حَسَناً ؟ والسَّجاد ؟

مكين : السَّجاد كُلُّه جديد يامولاى ... انظُرْ ... لقد اشترِيناه اليومَ من «خُوزاشِيرَ» تاجرِ الطنافس الشهير ...

سِنان : حسن ... حسن ... لاتنسَوْا أنها حفلةُ الخليفة . لابد أن يكونَ كلُّ شىء بالغاً غايةَ العظَمة والأبّهة ... سيحضُرُ الخليفة بعدَ قليل ... وأنتِ يا «رَيِّقُ» ، ماذا صنعت ؟

رَيِّقُ : كما أمَرْتَنى يامولاىَ ... زينتُ الجوارِىَ أبدعَ زينة ...

سنان : و«الخيزُرَانُ»؟

رَيُّقُ : تَخَيَّرْتُ لها أفخرَ الملابسِ، وأثمنَ الحُلِي ... كما أمرتَنِي ...

سنان : يجبُ أن تكون الجوارِى كلهن فى أتم زينة وزُخْرُفٍ !

(يدخل «طِلال» وقد استبدل بملابس الصيد ملابسَه المألوفة)

سِـــنان : «طِلال» !

طِلال : عمى !

سِـــنان : أتبغى شيئاً ؟

طِلال : أريدُ أن تأذَنَ لى فى الانفرادِ بِكَ ...

سِـنان : ألا تَرَانِي مشغولا الآنَ ؟

طِـلال : أريدُ لحظةً ...

سِـنان : لابأسَ !

(« سِنانٌ » يُشير إلى « مَكِينٍ » و « رَيِّقَ » بالخروج ، فيخرجان)

طِلال (فى انفعالٍ ونَشْوة) : عمى ... لى مطلبٌ عندَكَ ...

سِنان : مطلب ؟ أىُّ مطلب هذا ؟

طِلال : عِدْنِى ألاَّ تَرْفُضَ إجابتى إليه ...

سنان (ضاحكا متلطّفاً) : أنا لا أرفُضُ لك مطلَباً ، ولكن ...

طِلال (فى إلحاح) : أرجوكَ ياعمى ... أرجوك ...

سِنان : ماهو هذا المطلَبُ ؟ تكلم !

طِلال : «عوالى» ...

سِنان (مدهوشاً) « عوالى » ؟

طِلال : أجل ، «عوالى» ياعمى ... أُحبُّها ... أُحبُّها ياعماه!

سنان (فى برود) : تحبُّها ؟ متى كان هذا الحبُّ ؟

طِلال : أحبُّها من زمن طويل ، ولكنى كتمتُ عواطفى !

سِنان : إنى لدَهِش لذوقِكَ هذا يا «طِلالُ» ... تحبّ فتاةً مترجِّلةً ؟ ألا تقدِّرُ أنها ستَجْلِبُ لكَ التعبَ والعناء ؟

طِلال : لا أظن ... «عوالى» فى سَرِيرَةِ نفسِها طيبة ... بحُسْنِ السياسة يمكن الوصولُ معها إلى نتيجة مُرْضِيَة !

سِنان : بحسن السياسة ؟ (يتضاحك)

طِلال : المُهِمّ أنك لا ترفُضُ مَطْلَبى ...

(«عوالى» على وَشْكِ الدخول ، تجدهما يتكلمان فى شأنها ، تقف لتَتَسَمّع)

سِنان : (فى تضايُق) : سبق لى أن قلتُ لكَ إنى وعدتُ الخليفةَ بـ «عوالى» ...

طِلال : اذكُرْ أنى ابنُ أخيك ... وجميلٌ بِكَ أن ترعَى هنائى !

سنان : ومن أجلِ هنائِكَ لا أقبَلُ لكَ « عوالى » !

طِلال : وتهبُها للخليفة ؟

سِنان : سأعرِضُها عليه ، فإن راقَتْهُ فهى له ...

(تظهر «عوالى»)

عوالى : وإذا لم تَرُقْهُ تركَهَا وشأنَها !

(«سِنانٌ» يُباغَتُ ، ثم يملِكُ زِمامَ نفسِه)

سِنان : بالطبع !

عوالى : ولكنك لم تسأَلْنى رأيى !

سنان : وهلْ واجبٌ علىَّ أن أسألَكِ ؟

عوالى (بمداعبة) : فليكن هذا من بابِ المجامَلَة !

سِنان : (بمداعبةٍ أيضا) : لا بأسَ ... فليكن ... ما رأيُكِ ؟

عوالى : تذكُرُ أنكَ سألتَنِي مرةً فى شأنِ الرجلِ الذى أختارُه زوجاً لى ، فقلتُ لكَ إنى سأبحثُ عنه .

سِنان : وهل وجدتِ ذلكِ الرجلَ ؟

عوالى : نعم !

طِلال : من هو ؟

عوالى (لـ «طلال») : أنتَ !

طِلال : أنا ؟

عوالى : أنتَ ... نعم أنتَ ... أنتَ يا «طِلالُ» جمعتَ مزايا الرجلِ الذى يوافقنى ...

سِنان : (بسخرية) : أواثقةٌ أنتِ مما تقولين ؟ (فى جِدّ) أنا لا أستطيعُ الفصْلَ فى هذا الأمرِ إلا بعد أن أعرِفَ رَأىَ الخليفة !

طِلال : ما دمنا متحابَّيْن أنا و«عوالى» ، فما دَخْلُ الخليفةِ بيننا ؟

سِنان (فى حِدّة) : كفَى ... قلتُ كلمتى !

طِلال : عمى ! عمى ! لِيَكُنْ قلبُك رحيما بنا ... ليس فى مثل هذا الموضوع ما يدعو إلى الاستبدادِ والتحكمِ !

سِنان : إنى لَدهِشٌ من قولِكَ هذا ... أنت تَخْلِطُ

ولا تَزِنُ ما تقول ! . . . ماذا تعرفُ أنتَ عن مكانَتى عند الخليفة ؟

طِلال : مكانتُكَ عاليةٌ ، ومقامُكَ مَلْحوظ !

سِنان : إذن يَجِبَ علىَّ أن أكونَ مخلِصاً وفيًّا لمولاى . . . لابد أن أقدِّمَ له أحسنَ جوارِىَّ وأعظمَهُنَّ شأناً عندى . . .

عوالى (بتهكُّم) : حقا إنه لإخلاصٌ عظيم !

طِلال : وماذا يَضيرُ إذا كان عددُ الجوارى اللواتى ستَعْرِضُهُنَّ على الخليفة ينقُص واحدةً !

سِنان : إذن تكونَ خيانة . . .

عوالى (بتهكُّم أيضا) : حقا تكونُ خيانة عُظْمى !

طِلال : إذا كان الخليفةُ لم يَسْمَعْ بعدُ بـ« عوالى » ؛ فأين تكونُ الخيانة ؟

سِنان : تُرِيدُنِى أن أُخْفِيَهَا عنه ؟ تُغْرِينِي أن أكْذِبَ ؟

عوالى (لـ« طلال ») : وإذا حاولَ إخفائى عن الخليفة

فأنا لا أرْضَى أن أُخْفِيَ نفسى !

طلال (لـ «عوالى») : «عوالى» ... دَعِينا نتصَرَّف أنا وعمى فى الأمر، حتى ننتهىَ إلى حلٍ قبلَ مَقْدَمِ الخليفة ..

عوالى (تعقد يديها إلى صدرها) : تتصَرَّفان فى الأمر وحدَكما ؟ سِلْعَةٌ أنا بين أيديكما تُشْرَى وتباع !

سنان : هذا نصيبُنا منها يا «طِلالُ» ... !

عوالى : إذا كنتُ قد أفسدتُ ما بينكما من حديث فسأسكُتُ ، ولكما الحريةُ فى الكلام ... ولكن لا أظنُّ أنكما تمنعانى أن أسمَع !

سنان : اسمعى ما شئتِ ...

عوالى : ألف شكرٍ أيها الأمير !

طلال (لـ «سنانٍ» ، بالحاح) : أرجوكَ يا عمى ... أرجوك ...

سنان (فى شىء من الحِدَّة) : يبدو أنكَ ستضايِقُنى ...

عوالى : لا أدرى من منكما أولَى أن يتضايَقَ .. المعذرة ... لقد أفلَتتِ الكلمة من لسانى ، فلم أستطعْ ردَّها !

طِـلال (لـ«سنان») : قاسٍ أنت يا عماه !

سِـنان : قسوة فى موضعها ...

طِـلال (مستنكِراً) : فى موضِعِها ؟ !

سِـنان : نعم ، فى موضِعِها ... مازلتما ـ أنتَ و« عوالى » ـ طفلَيْن لا تميِّزانِ ما ينفَعُ مما يَضُرُّ ... أنا لاأبغِى إلا خيرَكما ...

طِـلال : خيرَنا !

سِـنان : إذا التحقتْ «عوالى» بدارِ الخلافة ضَمِنَتْ مستقبلَها ...

عـوالى : هذا فيما يخُصُّنى ... أما فيما يخصُّ « طِلالًا » ؟ ... آسِفَة ! ... لسانى ما بَرِحَ يَجْمَحُ بى ، لا أستطيعُ كَبْحَ جِماحِه !

سِـنان : لسانُكِ هذا ...

عـوالى : يلزم أن يُقْطَعَ منه جانب ... أليس كذلكَ ؟ أنا مستعدة ، بشرط أن تتولَّى أنتَ قَطْعَه !

سِنان (يحدِّق فيها برهة ، ثم يلتفتُ إلى «طِلال») :

لاأدرى حَتَّامَ تتركُ زِمامَ عقلِكَ لقلبِكَ ؟ أين رجولتُك ؟ أين حماستُك للحرب ؟ أين شَغَفُك بالقتال ؟ أين ميراثُ الشهامةِ من أبيكَ القائدِ المظفَّر ؟ . . . كلُّ هذا يذهب هَبَاءً أمام نظراتِ حسناءَ !

عوالى (مبتسمةً) : إنى شاكرة لك دائماً حسنَ ظنِّكَ بى أيها الأمير ! . . .

(«سنان» يتوقّف عن الكلام هُنَيْهة ، وهو يَحْدِج «عوالى» بنظراتِه ، ثم يحوِّلُ وجهَه عنها وشيكا)

سِنان (لـ«طلال») : أحسبُكَ ستقولُ لى : الحبّ ! . . . الحب . . . اعلم يا بُنَىَّ أن مَعْشَرَ «آسِر» لايعرفون ما الحبّ . . . ليس يشغَلُهم إلا امتشاقُ الحسام ، ورَمْيُ السِّهام . . . أواعٍ أنت ماأقولُ ؟ دَعْ للمُترَفِّهينَ المُخنَّثين هَوَى الغوانى ، وتقدَّمْ معى : نَغْزُ

الأعداء ، ونَخْضِبْ أيْدِيَنا بالدِّماء ، ونرجعْ
إلى بلادنا مزوَّدَيْنِ بالغنائمِ والأسْلاب . . .

(صائحاً) « طِلال » !

طِلال : عمى !

سنان : ألم تعرفْ شيئاً عن الغزوةِ التى أتأَهّبُ لها ؟

طِلال : عرفتُ يا عماه !

سنان : ستصْحَبُنى فيها . . . أسَمِعْتَ ؟

طِلال : لن أتأخَّرَ . . . ولكن فيمَ العَجلةُ ؟ والغزوةُ
فيما أعتقدُ لامسوِّغَ لها !

سنان : لا مسوِّغَ لها ؟ ثلاثةُ أشْهُرٍ وأنا قابعٌ فى هذا
البلدِ لا أجدُ إلا الخمولَ والركود ، أُحسُّ أن
الصَّدَأَ قد عَلاَ نفسِىَ الطَّموحَ . . . أسامعٌ
أنت ؟ . . . نفسى صَدِئَتْ ! . . . لا بدَّ أن أجلُوَ
عنها هذا الصَّدَأَ حتى تلْمَعَ لَمْعَ السيوف !

عوالى (لـ« سنانٍ ») : أوَلَا تأْخُذُنى مَعَك فى هذه الغَزْوَة ؟

سِنان (يقهقه) : أنتِ ؟ معى فى هـذه الغَزْوة ؟ أنتِ
يا طفلتى خُلِقْتِ لِلُبْسِ الحُلِىّ وجَرّ الذيول ...
« خَلِّى الرِّماح لأهلِها وتعطَّرى » !

عوالى (فى تخابُثٍ) : ولـكن هـل يَليقُ بكما أن تتركانى أبقَى وَحْدِى ؟

سِنان : وهل أنتِ فى حاجةٍ إلى من يحمِيكِ ؟

عوالى : طبعاً أحتاجُ إلى من يحمِينى ، مادمتُ لا شُغْلَ لى إلا لُبسُ الحُلِىِّ وجَرُّ الذيول !

طِلال : لن يَبْقَى بجانبِكِ إلا «أبو خَوَندَة» السكِّيرُ ...

عوالى : نِعْمَ الحارسُ الأمينُ !

سنان : ومن أجل هذا فَضّلْتُ لكِ دارَ الخلافة ...

(«أبو خوندة» يدخل مهرولا حاسِرَ الرأس)

أبوخوندة : سمعتُهُم يقولون إن رَكْبَ الخليفةِ قد وصل ...

سِنان : وصل ؟

(يدخل «مَكِين»)

مَكين : مولاى ! أميرُ المؤمنينَ حفظَه الله يجتاز بابَ القصر ...

سِنان : يجتازُ بابَ القصر ؟

(يخرجُ مُسْرِعا ، « ومكِينٌ » خلفَه)

طِـــلال (لـ«أبى خوندة») : لا أفهمُ ماالباعثُ على هذه الحفلة ؟ وما الداعى لقُدُومِ الخليفة ؟

أبوخوندة : ماهـذا الكلامُ ؟ كيفما كان الأمر ، فزيارة الخليفة تستوجبُ الابتهاجَ والسرور ...

طِـــلال : إن هنائى كلَّه معلَّق بمـا سيَتِمُّ فى هذه الحفلة !

أبوخوندة : ربما تمَّ ماترضاه !

طِـــلال : ماأرضاه ؟ كيف ؟ أوَ يَرى الخليفةُ «عوالِىَ» ، ولا ...

(يدخل «عِكْرِمةُ» شاهراً سيفَه)

عِكْرِمةُ : مولانا أميرُ المؤمنين !

أبوخوندة (صائحا بفزع ، وهو يجرى يتحسّسُ رأسَه العاريَ) : عِمامتى ! . . . عِمامتى ! . . . أين وضعتُها ؟ . . . عِمامتى ! . . . عِمامتى !

(يخرج « أبوخوندة » مهرولا ، « عوالى » تُرْخى نقابا على وجهها ، وتقف فى ركنٍ بعيد من أركان البَهْو... الخليفة يدخل وخلفَه الأميرُ « سِنانٌ » . « طِلال » و « عوالى » ينحنيان للتحية ، « عِكْرِمَةُ » يتوسَّطُ البَهْوَ خلفَ الحاضرين ، شاهراً سيفَه)

سِنان (للخليفة) : إن بيانى ليَعْجِزُ عن رَفْعِ فروض الشكر على ما أوْلَيْتُمونِى من شَرَفٍ عظيم بهذا القُدُومِ الكريم !

الخليفة : هذا أقلُّ مايجبُ لكَ ، جزاءَ إخلاصِكَ وولائِكَ !

سنان : إنى لكَ يا مولاى على الدوام الخادمُ الأمين ...

الخليفة : ليس ولاؤك وإخلاصُك وحدَهما هما اللذان يستوجبان التقديرَ لكَ والرعاية ، بل إن هناك

شجاعتَك وبلاءَك فى الحروب اللذين سارا مسيرَ
الأمثال فى شَرْقٍ وغَرْب ...

(يلتفت الخليفة إلى «طلال» ، ويقول له :)

«طلال» !

طـلال : مولاى !

الخليفة : «بنو آسِرٍ» جميعاً أبطال : أبوكَ ، وعَمُّكَ ، وَجَدُّكَ ...
فـكيف تـكونُ أنتَ ؟

طـلال : لِيَثِقْ مولاى الخليفةُ بأن الابنَ سيكون لسلفه
خيرَ خَلَف !

الخليفة : حسبُكَ من القدوة عَمُّك ، انظر : ماذا يصنع ؟
ولتكن لك فيه أُسْوَةٌ حسنة !

سِـــنان : «طِلالٌ» فتى طَيِّع ، وإن حاضِرَه ليبشّر بمستقبلٍ
مُزْدَهِر ...

الخليفة : هـــذا هو أكبرُ ظنى ... (ملتفتاً إلى «طِلال»)
ولكن لا تَنْسَى يا «طِلال» أنه قد كانت لك

نَزَوات ، هى من جموح الشباب ، لم تكن تبشر بخير ... إنى مترقِّبٌ لكَ منذ حداثةِ سنِّك ...

(يلاطف ذَقنَه وهو يضحك ...)

سنان : حقا كانت له نَزَوات لا تبشِّر بالخير ... ولكن فضيلتهُ أنه مُطِيع يقبلُ النُّصْحَ الذى يُسدَى إليه ...

الخليفة (لـ« طلال » مداعباً) : أما زلتَ منهمكا فى لَعِب الكُرَة والصَّوْلَجان ؟

طلال (فى تخابث) : عن مولاى أميرِ المؤمنين أخذتُ هذه اللُّعْبَة ، وإنى بها لفَخُور !

الخليفة (ضاحكا) : حقا عَلَّمْتُكَ إياها ، ثم فُقْتَنى فى إجادتها ... لقد أصبحتَ من أبطالها الأفذاذ ... والصيد ؟ أما زلتَ حريصاً عليه كشأنك من قبلُ ؟

طلال : إنه أمتَعُ رياضة عندى ...

الخليفة : وأنت فيه بطلٌ أيضا ... آخِر مرةٍ خرجتَ معى فيها إلى الصيد كانت مهارتُك تستدِرُّ الإعجاب ... لم تدعْ لنا شيئا نتصيده ... سهمُكَ سابق أبدا لسهامنا ، مصيبٌ من الفريسة مَقْتَلا ... ولكنِ اعْلمْ أنى حَذِقْتُ الرِّمايةَ الآن حِذْقاً لا مزيدَ عليه ... حينما نخرج مرةً أخرى للصيد لن أغادرَ لكَ ما تَقْنِصُه !

(يضحك ، وهو يداعب ذَقْنَ «طِلالٍ» ... «سِنانٌ» و«طلالٌ» يضحكان ... يقع بصر الخليفة على «عوالى»)

الخليفة (لـ«سنان») : «سنان» !

سِنان : مولاى ...

الخليفة (ناظراً إلى «عوالى») : مَنِ الحسناءُ المُنْتَحِيَةُ هناك ؟

عوالى (تتقدم من الخليفة ، وتركَعُ وهى فى نِقابها) : جاريتُك « عوالى » !

الخليفة (مبتسماً): «عوالى»؟ اسم بديع!... متى قَدِمْتِ قصرَ «سِنان»؟

عوالى: منذ أشهرٍ يامولاى...

الخليفة (لـ«سنانٍ» مبتسما دائما) وَلَمْ تُخْبِرْنا بها!

عوالى: لا يريدُ أن يتحدثَ عنى إلى أحد...

الخليفة: عجيب... ولماذا؟

عـوالى (بخبث): لا أعرفُ لماذا؟ ربَّما كان...

سِنان (يقاطع «عوالى» ملتفتا إلى الخليفة): تقصِدُ «عوالى» أن تقولَ...

الخليفة: دَعْها تتكلم!

عـوالى: شكرا يا مولاى... ربما كان الباعثُ له على ذلك رغبتَه فى الاستبداد وحبَّهُ للتحكُّم... إذا أذِنْتَ لى يا مولاى أوضَحْتُ لكَ الأمر!

الخليفة: أوْضِحى... ولكن آحْسِرى أولا عن وجهِكِ اللِّثَام...

(«عوالى» ترفع نقابها)

طـلال : تقصد « عوالى » أن تقول ...

الخليفة (وهو محدّق فى «عوالى»، مُعْجَبٌ بحسنها، لايحوّلُ بصره عنها) : دَعْها تتكلم !

عـــوالى (للخليفة) : شكراً يامولاى ... مرةً ثانية !

(الخليفة يضحك مسروراً ... « عوالى » تُتابِعُ كلامها بمداعبة ظاهرة :)

إنى لأشكو لك فى صراحةٍ أميرَنا « سِناناً » ...

سِنان (لـ«عوالى») : « عوالى » ! !

الخليفة (يقهقه ، وهو ناظر إلى « عوالى ») : قلت : دَعْها تتكلم !

سِنان (مُذْعِنا برَغْمه) : أمرُكَ يامولاى مُطاع ... غيرَ أن المجالَ ليس مجالَ ... (يدركه عِىٌّ عن الكلام) .

عـــوالى : غرضُ الأمير أن المجالَ ليس مجال محاكمة ...

حق هذا ، ولـكن ماحيلتى وهو لم يترك لى فرصةً أشكوه فيها ؟ !

طـــلال : « عوالى » ؟ ماذا جرَى لكِ ؟ ماهذا الـكلام ؟

الخليفة (مداعباً) : يبدو أن الأمرَ خطيرٌ يا « سِنان » !

سِنان (يتظاهر بالتهـكُّم والمداعبة) : خطير جدا يامولاى ! ... « عوالى » هذه فتاةٌ داهية ! ... (يتضاحك)

الخليفة (لـ« عوالى ») : أحب أن أعرفَ أولا : بنتُ مَن أنتِ ؟ ومن أينَ قَدِمْتِ ؟

عوالى : بنتُ خادمك الأميرِ « ابن الأزرقِ » ...

الخليفة : أميرِ الصَّحْرَاواتِ الخمِرِ ؟

عوالى : هو يامولاى ...

الخليفة : وماذا جاء بكِ إلى قصر « سِنانٍ » ؟

عوالى (تتنهد ، ناظرةً إلى « سنانٍ ») : سوءُ بختى !

(تصمُتُ « عوالى » خافضةَ الرأس ، الخليفة ينظر

إلى «سِنانٍ» يطالبه بالكلام)

سنان : كان الأميرُ «ابنُ الأزرق» صديقاً لى . . . وقُبَيْلَ موته أوصانى بابنتِه ، فلما تَوَفَّاه الله أَحْلَلْتُها بيتى ، وعُنِيتُ بتربيتها وتهذيبها وَفْقَ ماأوصانى به أبوها الصديقُ . . .

عوالى (لـ«سنانٍ») : وَفْقَ ماأوصاكَ به أبى ؟ ! . . . أوصاكَ أبى أن تعاملَنى هذه المعاملةَ !

(الخليفة ينظر إلى «سِنانٍ» مستوضحًا)

سنان : لقد اضْطَرَّتْنى أن آخُذَها بالعُنْف . . . شذوذ فى الطبع ، وشراسةٌ فى الخُلُق . . .

طِلال : لم يقلْ عمى إلا الحقَّ !

عوالى (لـ«طلالٍ») : هل طلبَكَ للشهادةِ أحد ؟

الخليفة (ضاحكا) : طريفٌ فى المرأة شذوذُ الطبع وشراسة الخلق !

عوالى (تنحنى) : شكراً يامولاى . . . مرة ثالثة !

(الخليفة يضحك)

سِنان : «عوالى» تحت تصرُّفِكَ يامولاى ، لقد أعددْتُها لتكونَ بين الجوارى اللواتى سيُعْرَضْنَ عليك ، تأمُرُ فيهنَّ أمرَكَ النافذَ !

عوالى (للخليفة) : سيَعْرِضُنى مع الجوارى يامولاى !

سنان : كُلَّكُنَّ جوارى الخليفة ، وكلنا له خَدَم !

الخليفة (وهو يُربِّتُ خدَّ «عوالى») : سيكون مكانك عندى غيرَ مكانِ الجوارى . . . ستكونين سميرةً ! «أمّ البنين» !

عوالى (تنحنى) : شكراً يامولاى !

الخليفة : فقط ؟

عوالى : مرةً رابعة !

(الخليفة يقهقه)

طلال (يتقدم فى اهتياجٍ مكتوم نحوَ الخليفة) : هذه الفتاةُ يامولاى لاتصلُح لدارِ الخلافةِ أبدا . . .

إنها فتاة عنيدة . . . عنيدة جدا

سنان (لـ «طلال») : مولانا الخليفةُ لم يُصدِرْ قرارَه الحاسمَ بعدُ ... (للخليفة) مولاى لم يَرَ بقيةَ الجوارى : «الخَيْزُران» ، و«مُتَيَّم» ، و«شاجى» ، و«ضياء» ...

الخليفة : حسنا ... حسنا ... آدعُهُنَّ !

(«سنانٌ» يصفّق ، «مَكِينٌ» يحضُر)

سنان («لـ «مكين») : الجوارى ... هيَّا ...

مَكِين (ينحنى ، وقبل أن يخرجَ يميلُ على الأمير قائلا) : «أبوخوندَة» يستأذِنُ فى الدخول ...

سنان (للخليفة) : «أبو خوندة» يا مولاى يطلبُ الإذنَ فى المثول بين يدى الخليفة

الخليفة : «أبو خوندة» ؟ ... يدخُل ، يدخل !

(«مكينٌ» يخرج ، بعد لحظة يدخلُ «أبو خوندة» ، ينحنى وقتًا أمامَ الخليفة)

أبوخَوَنْدَةَ (للخليفة) :

سلامًا ياأَمِيرَ المُؤْمِنينا قَدِمْتَ بِنا فأَقْرَرْتَ العُيُونا

الخليفة (لـ«أبي خوندة»): عليك السلامُ «ياأباخوندة»...
لم نَرك من زمنٍ طويل!

أبوخوندة: مولاى يأمُر، وأنا أستجيبُ ...

الخليفة: حجزَك عنا «سنانٌ»!

أبوخوندة: إن كان هـذا ظنَّ مولاى الخليفة، فـ«سنانٌ» مظلوم ... ليس هو الذى حجزَنى!

الخليفة: فمن إذنْ؟

(يدخل «مَكينٌ» فجأةً)

مكين (صائحاً): الجوارى!

الخليفة (لـ«أبى خوندة»): أجابَ عنْكَ «مكين»!
(لـ«مكين»): فليدْخُلنَ!

(تدخل الجوارى، تتقدمُهُنَّ «الخيْزُران» و«مُتَيِّم» ... «أبوخوندة» يلتفتُ نحوَهُنّ، ويُنشِدُ الأبياتَ التاليةَ، على حينِ تنحنِى الجوارى بين يدَى الخليفة)

يابُدُوراً أشْرَقتْ فى المحْفِلِ أنْعِشِى الرُّوحَ بشَدْوِ البُلْبُلِ

أسْمِعينا من أناشِيدِ المُنَى
صَوْتَ «داوُدَ» ولَحْنَ «المَوْصِلِي»
رَنِّحِي الأعْطافَ مِنْ سُكْرِ الهَوَى
لَسْتُ أرْعَى اليَوْمَ لَوْمَ العُذَّلِ

✡ ✡ ✡

مَنْ كمِثْلِ «الخيزُرَانْ» تُشْبِهُ الظَّبْيَ الأغَنَّا
كوكَبٌ بينَ القِيانْ يَفْتِنُ الأنظارَ حُسْنا

✡ ✡ ✡

تَيَّمَتْ قلْبي «مُتَيَّمْ» وشَجَتْنِي بِغِنَاها
صَوْتُها لِلرُّوحِ بَلْسَمْ وَهْيَ للنَّفْسِ مُنَاها

الخليفة (ضاحكا): فهمتُ!... مَنِ «الخيزُرانُ»، ومَنْ «مُتَيَّمُ»؟
أبوخوندة (يتقدم سريعاً نحو «مُتَيَّمَ»، ويقولُ عَجِلا):
تلك هى «متيَّمُ» يا مولاى ... وأمير المؤمنين لبيبٌ بالإشارةِ يفهم، وهو أهلٌ للنبل والكرم؛ عَطَّف اللهُ على العُشَّاقِ قلْبَه، ولا أجْرَى على يَدَيْه فِراقَ الأحِبَّة!

الخليفة (ضاحكا) لاتخشَ شيئاً ... سنترُكُها لك !

أبوخوندة (فى تذَلُّلٍ ، مشيراً إلى «سنانٍ») : ولكنَّ أميرنا ـ يَسَّرَه الله لِلاقْتِداءِ بالخليفة ـ لا يترُكُها لى !

الخليفة (مداعباً ، لـ«سنانٍ») : جاوزتَ الحدَّ يا «سِنانُ» !

سِنان : لكلِّ شىءٍ ثمنٌ يا مولاى ... والثمنُ الذى أَعْرِضُه قليل بالنسبةِ لهذا السِّحْرِ وتلك الفتنة ...

(يشير إلى «مُتَيَّمَ»)

الخليفة : ثمن ؟ أفى المسألة مُساوَمَة ؟

طلال : إنها رِهانٌ يا مولاى ... رِهانٌ فى لُعْبة الشَّطْرَنْج ... إذا استطاع «أبوخوندة» التغلُّبَ على عمى ، فـ«مُتَيَّمُ» من نصيبِه ... وإذا لم يستطعْ ...

سنان : لم يُصْبِحْ له حقٌّ فيها !

أبوخوندة : لقد مضتْ علىَّ سنةٌ وأنا ألاعبُه ، لم أغلبْه فيها مرةً واحدة !

الخليفة (ضاحكا) : أهكذا الخيبةُ تلازِمُك ؟

أبوخوندة (فى تَذلُّلٍ) : ومن أجلِ هذا أستوجبُ عَطْفَ الخليفةِ وعَوْنَه !

الخليفة : الأمر هَيِّنٌ على أيَّةِ حال ... (ملتفتاً إلى «مُتيَّمَ») تعالَىْ يا «مُتيَّمُ» ... (تقترب منه ، يقول لها :) حُسْن باهر ! ... أحسَبُكِ فارسيّةً !

متيم : أمى فارسيّة يامولاى ، أما أبى فعربىّ ...

الخليفة : لم تخطئْ فِراسَتى ... وماذا تُجيدِينَ من العلوم والفنون ؟

أبوخوندة : كلّ علم وفن ، ممتازةٌ فى كل شىء !

الخليفة : حتى الشِّطْرَنج ؟

أبوخوندة : إنها سبَّاقةٌ فى حلْبَتِها !

الخليفة : حسنًا ... مشكِلتُكَ حُلَّتْ ياأباخوندة ... آطلبْ إليها أن تعلِّمَكَ ، حتى تصيرَ أنتَ أيضا بطلاً من أبطال الشِّطْرَنْج ؛ ويومئذ يَتسنَّى لكَ أن

تَكْسِبَ الرِّهانَ من « سِنان » !

أبوخوندة : أوَلا بُدَّ من الشِّطْرَنْج يامولاى ؟

سِنان : حَتْمٌ أن يأخذَ العدْلُ مجراه ...

الخليفة : إذا كانت « مُتيَّمُ » تهواكَ حقًّا ، جَدَتْ فى تعليمك الشِّطْرنْجَ فى أقرب وقت ، وإذا كان الأمرُ على خلاف ذلك ...

أبوخوندة : ليس الأمرُ على خلافِ ذلكَ أبدًا يامولاى !

الخليفة (لـ « مُتيَّمَ ») : تُوافِقين على هذا الحُكْمِ يا « مُتيَّمُ » ؟

متيم : حكمُكَ لا يُرَدُّ يا مولاى !

(« أبوخوندة » يقبل على « مُتيَّمَ » ، ويُسارُّها فى اهتمامٍ زائد)

الخليفة (لـ « الخَيزُرانِ ») : وأنتِ يا « خَيزُرانُ » ؟

الخيزران (تتقدَّمُ وتنحنى) : مولاى ...

الخليفة : لِزَامٌ أن يكونَ لهذه الفتنةِ عُشّاقٌ والِهونَ ! (مبتسما) تُرَى هل يُنافسنى هنا فيكِ أحد ؟

أبوخوندة : الحقُّ أنَّ المنافِسين كثير !

الخليفة : كثير ؟ أحسَب أنك ستُقْحِمُ نفسَك بينهم !

أبوخوندة : أما فيما يخصنى فلتكُنْ مطمئنا ... (الخليفة يضحك) أما فيما يَخُصُّ ...

(يشيرُ إشارات مبهمةً إلى « سِنان »)

سنان : أنا والجوارى والحاشِيةُ والأتباعُ كلنا رَهْنُ إشارةِ الخليفة ... إنى أعرِضُ أنفَسَ مَنْ عندى ، والتى تحوزُ شرفَ القَبُولِ أُقدِّمُها طَوْعًا عن طِيبةِ نفس !

الخليفة (يتلفّتُ ، باحثًا عن «عوالى») : وأين «عوالى» ؟

(يعثُر عليها واقفةً فى ركن تشاهِدُ ما يحدُثُ صامتةً)

سِنان (مشيراً إلى « عوالى») : ألا تقتَرِبينَ هنا ؟

(« عوالى » لا تتحرَّك)

عوالى : مكانى هنا أوْفَقُ !

(«سِنانٌ» يخطو نحوَها بضعَ خُطُواتٍ ، فيسمع الخليفة يقول :)

الخليفة (لـ«سِنان») : دَعْها يا «سِنَانُ» ؛ مكانُها هناك أَوْفَى

(«سنان» ينحنى ويتراجع مُطيعًا ، الخليفة يستأنف حديثَه :) وأنتِ يا «خيزُرانُ» ؟ أتُحْسِنِين الغِناء ؟

سِنان (باندفاع) : صوتٌ ملائِكيٌّ يامولاى ! ... أمَّا فى الرقص فحدِّثْ ولا حَرَجَ !

أبوخوندة : قَوَائِم فى لِينِ الخَيْزُرَانِ ، اسم على مُسَمَّاه !

الخليفة (لـ«الخَيْزُرَانِ») : وهل تَرْوِينَ من الشعر كثيرا ؟

(تَهُمُّ «الخَيْزُرَانُ» بالجواب ، فترى «طِلالا» قد دَنا من الخليفة متحمِّساً ، وقال :)

طِلال (للخليفة) : عَشَرَةَ آلافِ بيتٍ من القصيد ، عدا الأراجيزَ والمقَطَّعَاتِ !

الخليفة : مدهش ... وماعِلْمُكَ بالأخبار وأيامِ العَرَب ؟

سِنان : وَرِثَتْ عِلْمَ «الأصْمَعِيّ» !

الخليفة : والفِقْه ؟

طِلال : كأنَّ مالِكاً لم يَمُتْ !

الخليفة : ما كان أجملَ أن تتحدَّثَ هى عن نفسِها !

(«عوالى» تضحك فى صوت مكتوم!... يلحَظُ ذلك «سِنانٌ»... يُلْقِى عليها نظرةً حادَّة، تتلقاها هى بتحدٍّ)

الخَيْزُرَانُ (متقدمةً من الخليفة) : أنا طَوْعُ أمرِكَ يا مولاى !

الخليفة : هل تحفَظِين شيئا لـ «مَرْوَانَ بنِ أبى حَفْصَةَ» ؟

الخيزران : أجوَدَ ما نَظَمَ يا مولاى ؟

الخليفة : مثلَ ماذا ؟

الخيزران (تنشد) :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةً وَفِىَّ خَيَالُها

زَهْرَاء تَخْطِرُ بالجَمَالِ دَلَالُهَا

هل تَطْمِسونَ منَ السَّماءِ نُجُومَهَا
بأكفِّكُمْ أوْ تَسْتُرُونَ هِلَالَهَا
أوْ تَدْفَعُونَ مَقَالَةً عَنْ رَبِّكِمْ
جِبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا

الخليفة (يعِيدُ البيتَ الثالثَ فى نَشْوَةٍ) :

أوْ تَدْفَعُونَ مقالةً عن ربِّكمْ
جبريلُ بلَّغها النبيَّ فقالها

(لـ«الخيزران») أحسنتِ الاختيارَ ! ... وماقولِكِ فى مجنونِ «ليلَى» ؟

الخَيْزُرَانُ : شاعر رقيق ، بيد أن شعرَه لارجولة فيه كشِعرِ «ابن أبى ربيعةَ» مثلًا ...

الخليفة : وما رأْيُكِ فى شخصِه ؟ أكان حقًّا ، أم هو اختراعُ خيال ؟

الخيزران : كلُّ الرُّوَاةِ ينقُلُونَ عنه ، كأنه شخص حقيقىّ !

أبو خوندة : عندى أن « المجنون » شخصية مزيفة !

الخليفة (ملتفتاً إلى « عوالى ») : ورأىُ « عوالى » ؟

عـــوالى : إن لم يكن المجنونُ موجوداً حقّا ، وجبَ أن نخلقَه ونجعلَه يعيشُ فى هـذه الدنيا . . . حرامٌ أن يَخْلُوَ العالمُ من مثلِ هذا المجنونِ !

الخليفة (يقهقه) : رأىٌ طريف ، وفلسفةٌ عالية !

سِنـــان : لِيَ اعتراض يا مولاى على هذا الرأى ، أفتأذَنُ لى أن أبسُطَه ؟

الخليفة : كُنْ حرًّا ، وقلْ ما بدا لك . . . (ملتفتاً إلى الآخَرِين) : وأنتم أيضا كونوا أحراراً فيما تقولون ... المجلس مجلسُ مباسطة وأُنْسٍ لا كُلْفَةَ فيه !

(لـ « سِنانٍ ») : ما اعتراضُك ؟

سِـــنان : لا أدرى لماذا يجبُ أن نَخْلُقَ «المجنون» ، ونجعلَه يعيشُ فى هذه الدنيا ، إذا هو لم يكنْ موجودا ؟... إن الدنيا لتكونُ أحسنَ حالا إذا فقدتْ أمثالَ هذا المجنونِ !

أبوخوندة : كيفَ هذا ؟

سِنان : كفَى ما فى الدنيا من ضِعاف بكّائين . . .

الخليفة : حقًّا بكى «المجنونُ» طويلًا فى حبِّه !

عـوالى : كانت دموعُه عُصارةَ قلبه . . .

الخيزران : عصارةَ قلبـه ؟ وكيف استخرَجَ كلَّ هـذه العصارة ؟ لقد كانت كثيرةً جدًّا . . .

(«عوالى» تَحْدِجُهَا بنظرتها)

أبوخوندة : كان يستخرجُها من نَبْع الحبِّ ياغانية . . . ألا تفهَمِينَ الحبَّ ؟

الخليفة : كيف لا تفهَمُ الحبَّ وقد نمَتْ فى بستانه ؟

عـوالى : الحب الذى تفهمُه «الخَيْزُرَانُ» حبٌّ من نوعٍ آخرَ . . . أما حبُّ «المجنون» . . .

سِـنان (يقاطِعُها) : فكان حبًّا مضحكا جدًّا . . .

عـوالى : كان حبًّا ساميًا تُغَذِّيه عواطفُ نبيلة !

طـلال : كان حبًّا خالصا . . . كلُّهُ بَذْل وإنكار للذّات . . .

الخيزران : تريدون الحقَّ ؟ . . . حبُّ «المجنون» من النوع الذي

تأكُلُ منه كثيرا ولكنك لا تشعُر بِشِبَع قطُّ !

أبوخوندة : ما هذا الكلام ؟ إنه لولا هذا الحبُّ الخالصُ ، ما سمِعْنا من رقيقِ الشعر شَطْرَ بَيْت !

متيَّم (وكأنها حالمة) : الحبُّ والشِّعْرُ أحسنُ شيء في الوجود !

(ينظر إليها «أبوخوندة» مغتبطا ، فتبتسم له)

سنان : أنا لا أرى أيَّ جمال في شعرٍ كلُّه أنين ونُوَاح !

عوالى : أظُنُّ أنه يعجِبُكَ الشعرُ إذا كانت روحُه على نَمَطِ الأوامرِ العسكريَّة !

الخَيْزُرَانُ : الشعر المُعْجِبُ حقًّا هو الشعرُ الذى يعبِّرُ عن رجولة وحَيَوِيَّة ...

الخليفة : تَعْنِينَ أن شِعْرَ «المجنونِ» كلَّه تأنُّث ؟

سِنان : بلا شكٍّ يا مولاى ... إنى لأعْجَبُ كيف كانت ليلاه تحِبُّه ؟

الخيزران : تحبُّه ؟ وهل هو رجلٌ يُعْشَق ؟ ... لعلها كانت مُشْفِقَةً عليه !

عـــوالى (مُحْتَدَّةً) : «المجنون» بصفاته السامية التى كان عليها شخصيةٌ كريمة تُحَبُّ وتُعْشَقُ ، و«ليلى» معذورةٌ فى حبِّه ... ومن يقولُ غيرَ هذا فنصيبُه من الفهمِ ضئيل !

سِنان (بتهكُّم) : أعترف أن نصيبي من الفهمِ ضئيل . ولذلك أزِيد على ما قلتُه دليلا ، وهو أن «ليلى» لو كانتْ أحبَّتْ «قيساً» ما تزوجتْ بـ«ورد» ...

متيم : لم تكن على حقٍّ فى الزواج بـ«ورد» ... لقد خانَتْ حبيبَها !

الخليفة : لا تَنْسَوْا أن حياةَ «المجنونِ» أشبهُ بالأساطير ، فإذا كانت قصةُ «المجنون» من وَضْعِ الرُّواةِ كان الذنبُ عليهم فى تزويجِهِمْ «ليلى» بـ«ورد» ...

أبوخوندة : عندى أن مؤلفَ القصة ماهر جـداً ، فإن تزويجَ «ليلى» بـ«وردٍ» نَفَخَ فى القصة روحاً جديداً وأدْخَلَ فيها حادثاً يَشُـوقُ السامع ، وأتاحَ لـ«المجنون» فرصةَ الاسترسال فى أناشيدِه الرائعة !

متَيَّمُ : لا ... لا ... لم يكنْ لـ«ليلى» أن تتزوجَ بـ«ورد» ..

(«أبوخوندةَ» و«متيمُ» يتناقشان بصوتٍ خفيضٍ)

عوالى : لو كنتُ أنا مكانَ مؤلفِ القصة ...

الخليفة : ماذا كنتِ تَصْنَعِينَ ؟

عوالى : كنتُ أوقَعْتُ بناتِ الحىِّ جميعا فى حبائِلِ «المجنون» !

الخيزُرَانُ : أما إذا كنتُ أنا مؤلفَ القصـة ، فكنت أدْعُو بناتِ الحىِّ إلى الاجتماعِ على «المجنون» ، نَنْهَال عليه ضَرْبًا حتى يموتَ !

(«عوالى» و«الخيزرانُ» تتراشقَان بالنظراتِ الحادَّة)

أبوخوندة : أما أنا فكنتُ أُزَوِّجُ «ليلى» بـ«المجنون» حتى تَنْفَضَّ المشكلةُ وتصْفُوَ الحال !

طِلال (لـ« أبي خوندة ») : أنت تناقِضُ نفسَك ...

أبوخوندة : لا تَنَاقُضَ فى قولى ... دعْنا ... دعنا ...

(يلتفت إلى الخليفة) : بأمرِ الخليفة نفتتح مِهْرَجانَ الطرب والسرور !

الخليفة (ضاحكا) : لا مانعَ ... ابدءوا ...

(« سِنانٌ » يميل على الخليفة ، يَتَسارَّانِ هُنَيْهَةً ... بعد ذلك يأمر « سِنانٌ » « مَكِينًا » بإحضارِ الشراب ، ويأمرُ الجوارِيَ بالبَدْءِ فى الرَّقْصِ والغِناء ...

عند ما تنتهى الحفلةُ يلتفتُ الخليفةُ إلى « سنانٍ » ، ويقول :)

الخليفة (لـ« سِنانٍ ») : أريدُ أن أُوجِّهَ إليكَ سؤالًا يا « سِنانُ » ، على أن تجيبَ عنه صريحا !

سنان : سلْ يامولاى !

الخليفة : أيَّهُمَا تفضِّل : « عوالىَ » أم « الخيزُرَانَ » ؟ قُلِ الحقَّ !

سِنان : « الخيزُرَان » طبعا ... ومن أجلِ هـذا أريدُ أن أُقدِّمَها للخليفة ...

الخليفة : وتَحْرِم نفسَكَ إيَّاها ؟

سِنان : إنى لأبْذُلُ نفسى إذا كان فى ذلك رِضا الخليفة ؟

الخليفة : ولكن ماذا أنتَ صانعٌ بـ « عوالى » ، وهى كما تقولُ عنيدةٌ مُتْعِبَةٌ لك ؟

سِـــنان : أمرُها هَيِّنٌ ... سأروُضها ، وسأجعلُها تَدِينُ لى بالطاعَة !

عـوالى (للخليفة) : كما عَرَفَ أن يَروض النَّمِرَةَ الصغيرةَ ويجعلَها مُطِيعةً له !

الخليفة : أيَّةَ نَمِرَةٍ تعْنِينَ ؟

عـوالى : فليأمُرْه مولاى أن يكشفَ عن ذِرَاعِه !

الخليفة : يكشف عن ذِرَاعِه ؟

(يلتفت إلى « سِنان ») : ما المسألةُ ؟

عـوالى (للخليفة ، ناظرةً إلى « سنان ») : لِيُرِيَكَ : كيف يَرُوضُ النُّمورَة !

(« سِـنان » ظاهرٌ عليه الضِّيقُ والكَرْبُ)

أبوخوندة (لـ « سنانٍ ») : تعالَ اكْشِفْ عن ذِرَاعِكَ !

الخليفة : أرِنا يا « سِنانُ » ...

سـنان (يكشِفُ عن ذراعه مُتَكَرِّها) : المسألةُ على كلِّ حالٍ تافهة ...

الخليفة : آثارُ عَضٍّ وتخْمِيشٍ وتجريح !

عـوالى : جِرَاحٌ لم تُصِبْهُ فى مَيْـدَانِ القتالِ والنضال يامولاى !

طِـلال : هذه النَّمِرَة ... هذه النَّمِرَة ...

الخيزُرَانُ : هذه النَّمِرَةُ شَرِسَةٌ منكرةٌ للجميل ... كان

مولاى الأميرُ يُطْعِمُها بيـــده ، فكافأَتْه على صنيعه ذلك بالعضِّ والتجريح ... إنها لَتَسْتَحِقُّ القَتْلَ !

عوالى (محتدّةً) : القَتْل ؟ من يستطيع قَتْلها ؟

الخيزُرَانُ (محتدَّةً) : أنا أستطيعُ !

عوالى (محتدَّةً أيضا) : من قتلَها قتلْتُهُ بهـا !

سنان (غاضباً) : ماهـذا ؟ أين أنتما ؟ أنسيتما أمامَ مَنْ تقِفان ؟

الخليفة (يضحـك ، ويقول لـ « أبى خوندة ») : النساء هنَّ النساءُ يا « أباخوندة » !

أبوخوندة (فى صوتٍ خافت) : كالقِطَطَةِ : دائمـا تَعَضُّ وتَخْمِشُ !

مُتَيَّمُ (هامسـةً فى غضب ، لـ « أبى خوندة ») : ماذا تقول ؟

أبوخوندة (عالىَ الصوت) : أقول :

إنّ النِّسَاءَ رَيَاحِينٌ خُلِقْنَ لنا

وَكُلّنَا يَشْتَهِى شَمَّ الرَّيَاحِينِ

ألا تأْتِينَ فتعلِّمِينى الشِّطْرَنْجَ ؟

مُتَيَّمُ : أىُّ شِطْرِنْجٍ ؟ الحديثُ عَنِ النَّمِرَةِ !

الخليفة : أريد أن أتعرّفَ قصةَ هذه النَّمِرَةِ !

عوالى والخيزُرَان (تتكلمان معاً فى حِدّة) : هذه النَّمِرَةُ يامولاى . . . (تتراشقان بنظرة نَكْرَاءَ)

سِنان (للخليفة) : بأمر مولاى أصرف الجوارى !

الخليفة : فليلْبَثْنَ قليلا . . . (لـ « عِكْرِمَةَ » السيّافِ) : « عكرمة » . . .

عِكْرِمَةُ : مولاى !

الخليفة : أَعْطِ كلَّ جارية خَمْسمائةِ دينارٍ ، وخُصَّ « الخيزُرَانَ » بألف ، و« مُتيمَ » بمثلها . . .

(الجوارى يَنْحَنِينَ ، « عِكرِمَةُ » يوزّع عليهنّ بِدَرَ الدنانير . . . الخليفة يُسِرُّ بكلمة إلى « سِنان »

«سنانٌ» يصرِفُ الجوارى ويستبقى «عوالىَ»

الخليفة يدنو منها ويَهْمِس :)

أما أنتِ فلكِ هديةٌ أثمنُ وأرفعُ !

عوالى (تنحنى) : مولاى !

الخليفة : لم أعرفْ بعدُ قصةَ تِلْكِ النَّمِرَةِ ...

سنان (للخليفة) : هى نَمِرَةٌ ليس لها كبيرُ شأن يامولاى ...

عوالى : ولكنك لم تَقْوَ عليها ...

الخليفة : ومَن جاءَ بها ؟

عوالى : أنا التى قدّمْتُهَا إليه هديةً من صيدى ...

أبوخَوَندة : أما كان أوْلَى أن تصيدى له مهاةً أو ظبْية ؟

عوالى : القائد لايُهْدَى إليه إلا ما يَليقُ به ... إلا مايحبُّه !

الخليفة : ولم لايحب المَهَاةَ ، وعيونُها مَضْرِبُ المثل فى السِّحْر والروعة ؟ (لـ«سنانٍ») : ألاتحب عيونَ

المهَا ولحاظ الظِّباء يا «سِنانُ» ؟

سنان : أحبها يامولاى لما تَنْطَوِى عليه من سَذَاجَةٍ وخضوع ...

الخليفة (لـ «عوالى») : الشعراء يشبِّهُونَ عيونَ كُنّ بعيون المهَا والغِزْلان !

عوالى : من أجلِ السذاجة والخضوع !... ولكنّ هؤلاء الشعراءَ كلّهم ...

أبو خوندة : مجانين !

سنان : مجانينُ حقًّا ... لأن عينَ المرأةِ كلّهَا مكرٌ ودهاءٌ وكِبْرِياءُ ، فكيف تشبهُ بعين المهاةِ أو الظبية فى وداعتها واستسلامها ؟ !

عوالى : المكر والدهاءُ والكبرياءُ ... هذه صفاتٌ تدلُّ على قوّةِ الشخصيّة !

الخليفة (لـ « عوالى » ، مداعباً ملاطِفاً) : وأنا أحبُّ

المكرَ والدهاءَ والكبرياءَ في عيُونِ الغِيدِ !

عوالى : شكراً يامولاى ...

الخليفة : ... مرةً خامسةً !

(« عوالى » والخليفة يضحكان)

عوالى (فى رقـة) : مولاى الخليفـة عُنوانُ الظَّرف والكِيَاسَةِ !

(الخليفـة يقهقه ، على حينٍ يظهرُ على « سنانٍ » و« طلالٍ » شيءٌ من الضيق ، ولكنهما يتكلفان الابتهاج)

الخليفة : لقد طالت جَلْستى ... (لـ « سنانٍ ») الحق يا « سنانُ » أنها حفلة مُمْتِعة (ينهض) أشكرُلك ياقائدى العزيزَ !

سنان : (ينحنى للخليفة) : مولاى !

الخليفة (للجَمْع) : والآن أستودعُكمُ اللهَ (لـ « عوالى »

فى رقةٍ وعطف) متى تَقْدَمِينَ دارَ الخلافة ؟

عـوالى : أنا رَهْنُ أمرِ مولاى !

الخليفة (لـ « سنان ») : اتَّخِذْ ما يَلْزَمُ ...

(« سنان ») ينحنى ... يخرج الخليفة خلفَه « عِكْرِمَةُ » السيَّاف ، يتبعهما « سِنَانٌ » و « طِلَالٌ » و « أبوخوندة » . سَرْعانَ ما يعـود الثـلاثة . تريد « عوالى » أن تخرجَ فيستبقيها « سِنان »)

طِـلال (فى عِتاب) : لقد عرضتَ « عوالى » على الخليفة ياعمى !

سنان (وهو متضـايق) : عرضتها بِرًّا بوَعْدِى إياه ...

طـلال : لم تَحْفِلْ برجائى ، ولم تَرْعَ جانبى !

سنان (وهو عابس الوجه) : جانبُ الخليفة فوقَ كل جانب !

طـلال : قلت لكَ : إنى أُحبها !

سنان : تحبُّها ؟ وماذا فى ذلك؟ هل هذا الحبُّ شىء عَصِىٌّ لا تستطيعُ أن تَقْهَرَه ؟

أبوخوندة : ليس كلُّ حب يُستطاعُ قَهْرُه !

طِلال (لـ « سنانٍ ») : ماذا تصنع لو كنتَ مكانى ؟

سنان : ماذا أصنعُ ؟ شىء واحدٌ أمامِى !

عـوالى : ماهو ؟

سنان (فى تأكيد) : أقتلُ حبى ، وأُوَارِيهِ قلبى !

أبوخوندة : كلُّ أمرٍ عندك قتلٌ فى قَتْل !

سنان : طبعاً !

طـلال : أنت على حقٍّ ياعمى !

سنان : ماذا ؟

طـلال : الحقُّ معكَ فى تحكيم سـيفِكَ أمامَ كلِّ أمر !... وسأحْذُو حَذْوَك ...سأنتزعُ «عوالىَ» بحدِّ السيف !

(« طلال » يخرج وهو مهتاج)

عـوالى (تضحك): يظهر أن سُوقَكِ راجَتْ يا «عوالى»! الخليفة يطلبُكِ، و«طلال» بحدِّ السيف ينتَزِعُكِ

(لـ«سنانٍ»): لا أحَدَ غيرَكَ يَزْهَدُ فِيّ!

سنان: ماذا تقصِدينَ؟

عـوالى: أقصِد أنك تُسارع بالتفريط فىّ، والنزولِ عنى!

سنان: مصلحتُكِ غايتى ...

عـوالى (بمداعبة): أشكر لك شعورَكَ الطيِّبَ!

سنان: أو هُناك أعَزُّ من قصرِ الخليفة فى نَظَرِكِ...

عـوالى: ربما ...

سنان: أنت شديدةُ الطمع يا «عوالى»... هل يبلغُ أحدٌ أن يكونَ سميرَ «أمِّ البنينَ» فى ظلِّ الخليفة، ثم لا تهتَزّ أعطافُه طرباً وزَهْوًا؟

عـوالى: سأنتقلُ من سجْن إلى سجْن...

أبوخوندة: أو قَصرُ الخليفةِ سجْن؟... حبَّذا هذا السجنُ

يا « عـــوالى » ... (لـ « سنانٍ ») ليتَنى كنت
جاريةً عندكَ تُهْدِينى إلى الخليفة !
(يقصِـدُ إلى خِوَانِ الشراب ، ويبدأُ يختَسِى
الكُئُوسَ)

سنان (فى شىء من الاهتمام بـ « عوالى ») :
ومادام هذا رأْيُكِ ، فلماذا أمسكتِ عن الكلامِ
من قَبْلُ ؟

عـوالى : ماذا كنتَ تريدُنِى أن أقولَه ؟ كنتَ تريدنى
أن أقولَ إننى لا أرغَب فى الذهابِ إلى
الخليفة ، بل أفضِّلُ البقاء هنا ، مع أنكَ تُبْدِى
دائماً نفورَكَ منى وضِيقَكَ بى ؟

سنان (يزدادُ اهتماماً) : هـل تُؤْثِرِينَ حقًّا البقاءَ
معى ؟

عـوالى (فى هدوء) : ولِمَ لا ؟

سنان (بشَغَف) : ولم تُؤْثِرِينَ البقاءَ معى ؟ لمَ ؟

عـــوالى : من أجل أن ... من أجلِ ... من أجلِ أن أُكْمِلَ — كما كنتَ تَقُولُ — تربيتى وتهذيبى فى حِمَاكَ !

سنان : مِنْهَاجى فى التربية والتهذيب لا يَرُوقُكِ ...

عـــوالى : وهل يَرْضَى التلميذُ دائمًا عن طريقةِ أستاذِه فى التعليم والإرْشاد ؟ ...

أبوخوندة (وهو يحتَسِى الشرابَ ، مُهَمْهِمًا فى دُعابة) : كلامٌ صائِب ! ... هل يرضَى التلميذ عن طريقةِ أستاذه !

سنان (باندفاع) : إذا أحببتِ البقاءَ معى ، فاوَضْتُ الخليفةَ فى هذا !

عـوالى : وماذا أنتَ قائلٌ له ؟

سنان (مفكرًا) : أقول له ... أقول له ...

أبوخوندة : قلْ له : إنها ما زالتْ صغيرةً تفتقِرُ إلى التعليم والتهذيب !

سنان (لـ « عوالى ») : أقولُ له إنها مازالتْ صغيرةً تفتقِرُ إلى التعليم والتهذيب ؟ !

عـوالى (فى شىءٍ من الِاشمئزاز) : وهلْ تَرَى حقا أنى مفتقرةٌ الى ذلك ؟

سنان : لا شكَّ !

عـوالى : (عابثَةً متخابِثَةً) : أفضّلُ أن تقولَ له إنها تحِبُّ « طلالاً » ، وإن « طِلالاً » يحبُّها ...

أبوخوندة : فكرةٌ رائعة ...

سنان (لـ « أبى خوندة » ، صائحـا فى غضب) : اخرَسْ ياسَكْرَانُ !

أبوخوندة : خَرِسْتُ ...

سنان (لـ « عوالى ») : أتريدِينَ منى حقا أن أقول ذلكَ له ؟

عـوالى : أنا صرّحْتُ لكَ بقبولى الزواجَ به !

سنان : ولكن ربما كان هذا الزواجُ على غيرِ أساسٍ وطيد ...

عـوالى : زواجنا سيكون مؤسساً على حبٍّ عريق !

سنان (فى غَضَب واستهزاء) : حبّ ؟ حبّ ؟

أبو خوندة : ما دام الزواجُ مؤسَّساً على حب ...

سنان (مقاطِعًا) : إن لم تَخْرَسْ دَقَقْتُ عُنُقَكَ !

أبوخوندة : خَرِسْت ...

سـنان (لـ « عوالى ») : سأبعثُ بكِ إلى قصرِ الخليفة غـداً ... استَعِدِّى ... وَعْدِى لا أتخلَّى عنه !

عـوالى (فى دُعابَة) : أمرُكَ على العـينِ والرأسِ أيُّها الأمـير !... بيـد أن لى مطلبًا أستَمِيحُك قضاءَه ، إرضاءً لى ...

سـنان : وما هو ؟

عـوالى : أن ترعَى النَّمِرَةَ التى اصطَدْتُها لكَ ، فلا تُفَرِّطَ فيها بسهولة ...

(تنحنى وتخرج ... « أبوخوندة » يكرَع كأسا ثم يندفع فى قهقهة . « سنان » يحدِّق فيه بغضب)

أبوخوندة (صائحا) : أُقسِمُ بالله إنك تحبها !

سنان (صائحا فى ثورة) : ماذا ؟ أنا أحبها ؟ ... أحبها ؟ ... (يُهرَع إليه ، ويُمسِكُ برقبته ، ويَهُزُّه) أنا ؟ تجسُر على أن تقولَ ذلك ؟ (يرمِى به على إحدى الحشايا) يالكَ من سكرانَ !

أبوخوندة (متحدِّيا) : سكرانُ أو غير سكرانَ ... أنت تحبُّها !

سنان (وهو يقهقه قهقهة متصنَّعَةً كريهة) : ماذا أفعلُ بخمورٍ مثلِكَ يَهْرِف بما لا يعرِف ؟

أبوخوندة : وهل فى حبِّكَ إياها عيب ؟

سنان : أنت لم تعرفْنى بعدُ ، حتى تَلْفِظَ بهذا الهُرَاءِ !

أبوخوندة : أنا أعرِفُكَ حقَّ المعرفة ...

سنان : تعرفنى حقَّ المعرفة ، وتَدَّعِى أنى أُحِبُّ ؟ افهم
ياسَكْرَانُ أن هذا الحبَّ الذى تتشدَّقُونَ به ،
لا يستطيعُ أن يجدَ سبيله إلى قلبي !

أبوخوندة : لماذا ؟ ألستَ مثلَنا من بنى آدَمَ ؟

سنان : كلا ، لستُ مثلَكم من بنى آدم ... بنو آدمَ
الذين تَعْنِيهم ليسوا إلا رَمْزًا للضَّعْف وعُنْوَانا
للهزيمة ... أهْوَنُ عاطفةٍ تلعَبُ بهم ...
أما أنا ... اسمع ... ستنتقِل « عوالى » غدا الى
دارِ الخلافة ! ... ... أفهمتَ ؟ سترحل غدا !
(يصيح) يا « مَكِينُ » ... يا « مَكِينُ » ...
(يحضر « مَكينٌ » عَجِلًا)

سنان (لـ « مَكِينٍ ») : قُلْ لـ « عوالى » تَحْضُرِ
الساعةَ ...

مَكِين (متلَجْلِجًا) : « عوالى » ... « عوالى » ...

سنان : تكلَّمْ ... مابِكَ ؟

مكين : «عوالى» خرجَتْ يامولاى ...

سنان : خرجَتْ ؟ كيفَ ؟

مكين : خرجَتْ ... مع الأميرِ «طِلالٍ» !

سنان (صائحا) : مع «طِلالٍ» ؟ وأين ذهبا ؟

مكين : سمعتُهما يتحدَّثانِ بأنهما سَيَمْتَطِيَان جوادَيْنِ ويقصِدَانِ مَرْجَ الْخُلْد ، يتنزَّهَانِ هناك فى ضَوْءِ القمر ...

أبوخوندة (مُهَمْهِما) : فى ضوء القمر ... حقا إنها لنُزْهَةٌ رائعة !

سنان (لـ «مكين») : مرِ الفارسَ «زيادا» يَلْحَقْ بهما ويُحْضِرْهُمَا إلىّ على عجلٍ ...

مكين : أمرُك مُطَاعٌ يامولاى !

(يخرج «مكينٌ» ... «سنان» يمشى يداه خلفَ ظهرِه ، حينما يصلُ إلى مكان «أبى خوندة» يقبُ أمامَه)

سنان : نُزْهَة رائعة ؟ ! أليسَ كذلِك ؟

(يَخْطَفُ قَدَحَ الخمر من يدِ « أبي خوندة »
ويحطِّمُه أمامَه على الأرض ، وهو يكرِّرُ :)

نزهة رائعة ! ... نزهة رائعة ! ...

رائعة جدا ! ...

ستارة

الفصل الثالث

(المنظر السابق نفسه...

الأمير « سنان » ومعه « أبوخوندة » يلعبان بالشِّطْرَنْج، يتحدثانِ وهما يُنَقِّلانِ القِطَعَ)

أبوخوندة : و « عوالى » ؟

سنان : لا تخرُجُ الآن للصيد ...

أبوخوندة : تَعنى أنها أذْعَنَتْ لأمرِكَ ؟

سنان : وهل يملِكُ أحدُ ألَّا يُذْعِنَ لأمرى ؟

أبوخوندة : الحقُّ ما قلت ... هذه قِطَعُ الشِّطْرَنْجِ نفسُها تتحرك بإرادَتِكَ ، وهى جَمادٌ . فما ظنُّكَ بالأحياء ؟! ... ولكن لِمَ لمْ تبعثْ بـ « عوالى » إلى الخليفة ؟

سنان (يتظاهر بالاهتمام باللَّعِب) : تسألُنى لماذا لم
أبعثْ بها ؟ ... إنها لم تستعدَّ بعدُ !

أبوخوندة : لم تستعدَّ بعدُ ؟ أو طَلَبَها الخليفة فى جَهَازٍ ؟
ترَامَى إلىّ أن « عِكْرِمَةَ » السيّافَ قدِمَ من قِبَلِ
الخليفة ثلاثَ مرات يستنجِزُكَ إرسالَها ...

سنان : صحيحٌ هذا ...

أبوخوندة : وهل تَنْوِى أن تتغاضَى عن وَعْدِكَ للخليفة ؟

سنان : ماهذا الكلام ؟ كيف أتغاضَى عن وعدى ؟
(يقول فى صوتٍ عال) : احذر ... السلطان !
أقول لكَ : احذرْ ... السلطان !

أبوخوندة : هأنذا حَمَيْتُه ...

سنان (متابعاً اللعِبَ فى اهتمام) : مرة أخرى :
احذرْ ... السلطان !

أبوخوندة (غاضباً ، يرمى بِقِطْعَةِ الشطْرَنْج) : ما أسوأَ
هذا اللعبَ ! (يمسَحُ وجهَه) آه يا مُتَيَّم !

ألم يَحِنْ أن أكْسِبَ رِهانَكِ ؟ لا بأسَ ...
« لابُدَّ مِنْ صَنْعَا وإنْ طالَ السَّفَرْ » (لـ« سنانٍ »)
تظن أنك ستَظَلُّ غالباً أبدَ الدهر ؟ (يملأ
قدحا ويشرب ، بعد صَمْتٍ قصير) أنا لم
أفهمْ ... لم أفهمْ قطُّ !

سنان : لم تفهم سببا لخيبتِك !

أبوخوندة (وهو يُحَدِّقُ فى « سنانٍ » متسائلا) : لم أفهم
سببا لتأخيرِكَ إرسالَ « عوالى » إلى الخليفة !
(« سنانٌ » يرمى « أبا خوندة » بنظرة شَزْرَاءَ ،
ثم لا يلبثُ أن يُنَحِّىَ بصرَه ناحيةً أخرى)

سنان (فى لهجة يتكلَّفُ فيها عدمَ المبالاة) : إنكَ
لمغفَّل ... كانت مريضة !

أبوخوندة (بدُعابة) : آه ... كانت مريضة ...
واكَبِدى لها !

(تُسمَعُ « عوالى » و « الخيزُرَانُ » تتصايحان خارجَ البَهْوِ)

عوالى (خارجا) : قلتُ لكِ : سأقتُلُكِ حتْما ...

الخيزران (خارجا) : أنتِ تقتُلِينَنى ؟ أنتِ ؟

عـــوالى (خارجا) : ما أقـــلَّ أدَبَكِ ، وما أسوأ تربيتَكِ !

(تتصايحان فى اختلاط)

أبوخوندة (لـ « سنانٍ » ، فى دُعابة) : يبدو أنها مريضةٌ جـدًّا !...

(تدخُلُ « عوالى » و « الخيزُرَانُ » ، وهما متشابكتَان ، ولـكن « عوالى » متغلبةٌ على « الخيزُرَانِ » آخذة بشَعْرِها تجْذِبه)

الخيزُرَان : اتْرُكِينى !... قلتُ لكِ : اتْرُكينى !... وإلا ساءَتِ العُقْبَى ...

سنان (متقدماً ، يريد أن يُفَرِّقَ بينهما) : ماذا جرى ؟ ماذا جرى ؟ ما هذا ؟

عوالى (غيرَ مَعْنِيَةٍ بكلامه ، تقول لـ«لخيزُرَانِ» :) لن أتركَكِ حتى أُؤَدِّبَكِ وأُعَرِّفَكِ مَقَامَكِ !

الخيزُران : أنتِ تؤدِّبِينَنى ؟ أنتِ ؟ («عوالى» تشُدُّها من شَعْرِها) قلتُ لكِ : اتْرُكينى !

سنان (وهو يحاولُ التفريقَ بينهما) : وماذا بعدُ ؟ ألا تَنْتَهِيَانِ ؟

أبوخوندة (مداعبا ، لـ «سنان») : قائدٌ عظيم ، طالما قَهَرَ وانْتَصَر ، يَعْجِزُ عن فضِّ مشاجَرَة بين غادتَيْن !

سنان (يلتفت إليه) : اخْرَسْ ...

أبوخوندة : خَرِسْت ... على أنى أعْذِرُك ، يخيَّلُ إلىَّ أنها أولُ موقِعَةٍ تخوضُها فى مَيْدَانِ الجنس اللطيف !

سنان (وقد استطاع أن يفرِّقَ بينهما ، يوجِّهُ الكلامَ إليهما) : ما كان فى ظَنِّى أنكما طفلتان على هذا النحوِ !

الخيزارن : انْظُرْ ... انظُرْ كيف جَرَحَتْنى بأظفارِها ؟ (تكشِف لـ « سنان » عن ذِرَاعِها ، وتُرِيهِ آثارَ الخَدْشِ ، ثم ترتَمِى على صدرِه باكيةً)

عـــوالى (وهى تمسح وجهَها ، تقـول فى تهكُّم) : إن بَشَرَتَكِ بَضَّةٌ ناعمة لا تحتمل لَمْسَ النسيم !

الخيزُرَانُ (ترفع رأسَها عن صَدْرِ « سِنان » ، وتَحْدِجُها بنَظْرَةٍ متَّقِـدة) : حقا بشرتى بضَّـة ناعمة ... ناعمة ... بشرةُ أُنوثَة !... انظُرِى أنتِ بَشَرَتَكِ الخَشِنَةَ : ماذا تُشْبِهُ ؟

عـــوالى (وقد تَحفَّزَتْ للهجُومِ) : أنا خَشِنَةُ البشَرة ؟ أنا ... ؟

سنان (وقد مَنَع « عوالى ») : كفَى ! ... كفَى !

(يصيحُ منادياً) : رَيِّقُ ! ... رَيِّقُ ! ...

(تدخلُ « رَيِّقُ » مسرعة)

رَيِّقُ : مولاى الأمير !

سنان (يشير إلى «الخيزرانِ» ، وقد نحّاها بلُطْف عن صَدْرِه) : فلتكن « الخيزرَانُ » موضع عنايتك البالغة ! (لـ « لخيزران ») : اذهَبي فاستَريحِي يا « خيزرانُ » ، ولا يكُنْ فى بالِكِ أن مثلَ هذا يقعُ مرةً أخرى !

الخيزرانُ (وهى تنحنى أمامَه) : عَطْفُكَ علىَّ يامولاىَ أنجعُ بَلْسَمٍ لجِراحى !

(تخرج مع « رَيِّق »)

عوالى (هازئةً بـ «الخيزرانِ» ، ومقلِّدَةً إياها) : أنْجعُ بَلْسَمٍ لجراحى ! (تقهقه)

سنان : وماذا بعدُ يا « عوالى » ؟

عوالى : لا بعدُ ولاقبلُ !

أبوخوندة (كأنه يكلِّمُ نفسه) : الحمدُ للهِ على أن « مُتَيَّمَ »
كانت ناجيةً من هذا المعركةِ الحاميَةِ !

سنان (لـ « عوالى ») : أُرْضِيكِ ماحَدَثَ ؟

عوالى : ماهو الذى يُرْضِينى ؟ أفتريدُ أن تدافعَ عنها ؟

سنان : وماذا يمنَعُنى من الدفاع عنها إذا كانت مظلومة ؟

عوالى : ومن أين عرفتَ أنها مظلومة ؟ ... من بكائها
بين يَدَيْك ، وارتمائِها بين ذراعيْك ؟

سنان : أُريد أن أتعرَّفَ سببَ هذه المشاحنة ؟

عوالى : سببُها النَّمِرَة ...

سنان : النَّمِرة ؟

أبوخوندة : وماذا أقْحَمَ النَّمِرَةَ فى هذا الموضوع ؟

عوالى : « الخيزرانُ » انهالَتْ عليها ضرباً ، وهى حبيسةُ
قفصِها ، حتى كادت تَهْلِكُ !

سنان : لابد أن تكونَ النَّمِرَةُ عضَّتها ...

عوالى : لم تعضَّها قطُّ !

سنان : لعلها هَمَّتْ أن تَعَضَّهَا ...

عوالى : مادامت لم تعضَّها ، فلِمَ تضربها ؟

سنان : أكان عليها أن تستسلمَ لها حتى تعَضَّها ، ثم تضربَها بعد ذلك ؟

عوالى : نَمِرَتِى لا يَمَسُّها أحدٌ بسوء !

سنان : أهى نَمِرَتُكِ ؟ ألم تُهْدِيها إلىّ ؟

عوالى : أمن أجل أنها هديتى لا تأبَهُ لها ، ولا يَعْنِيك أمرُها ؟ أمن أجلِ أنها هديتى تَدَعُ جاريةً كـ« الخيزُرَانِ » تضربُها؟ كان فى حِسْبَانى أن يكونَ لخاطرى مقامٌ عِنْدَكَ ترعاه ولو من بابِ المجاملة ... ولكن يظهرُ أن جانبى آخرُ ماتفكِّرُ فى رعايته !

سنان : ماذا تقولِينَ

عوالى : حسبُكَ جانبُ « الخيزُرَانِ » تهتمُّ به وتُعْنَى !

(« سنان » يضحك متلطِّفاً) : لايقعْ فى

وهْمِكَ أن أمرَ « الخيزُرانِ » يشغَلُ بالى ! ...
مهما يكنْ مقامُها عِنْدَكَ فهى هى الجاريةُ
التى اشتَرَيْتَها من السُّوق !

أبوخوندة : ولكن ألا تظُنِّينَ أيتها الأميرةُ أن
ثمَّةَ جوارِىَ ...

عـوالى (تقاطعُه) : يَفْضُلْنَ ذوَاتِ المجد العَرِيق ...
أليس هذا ما كنتَ تَنْوِى أن تقولَ ؟

أبوخوندة : لم أقصدْ إلى ذلك بعينه ...

عـوالى : « الخيزرانُ » وإن بلغْتُمْ بها كلَّ مبلغ ليستْ
من الصِّنف الذى تَعْنونه ... ولن تكونَ
منه يوماً ما ...

سنان : « الخيزرانُ » ليس فيها ما يُعابُ !

عـوالى : دائما تنتصِر لها ... تعتبرُها سيدةَ القصرِ
الأولى ! ... تريد أن تَنْحَنِىَ لها جميعا طاعةً
وخضوعا !... (تتضاحك) طاعةً وخضوعا ...

(تحتد بغتة) سمعتُ أنَّ الخليفةَ بعثَ فى طلبي ،
فلِمَ لمْ تخبرْنِى حتى أتهيَّأَ للارتحال ؟

أبوخوندة (مغمغما) : ألم تكونى مريضة ؟ ألبَيِّ حتى تتماثلى !

سنان (لأبى خوندة) : هِيه ... ثم ماذا ؟

أبوخوندة : أقلتُ مُنْكَراً ؟

عـــوالى : أريد أن أعرفَ متى أشْخَصُ إلى دار الخلافة ؟

أبوخوندة : و « الخليفة » أيضا يريدُ أن يعرِفَ !

سنان (لـ « عوالى ») : ستذهَبِينَ فى الوقتِ الذى أحدِّدُه !

عـــوالى : أحب أن يكونَ ذلكَ فى أقرب فرصة ..

سنان : لامانعَ عندى ... ولكن ثِقِى أن هذا التأخيرَ كان خيراً لكِ ... لقد فكرتُ فى أمرِكِ طويلا ، وقدَّرْتُ أنكِ ربما لقِيتِ

فى دار الخلافة مالا يُرْضِيكِ ... جائزٌ أن
يتخذُوكِ جاريةً أو حَظِيَّةً أو ...

عـــوالى : أشْكُرُ لكَ أيها الأمير !

ســـنان : إنى لأُعدّك على الرَّغْمِ من كلِّ شىء وديعة
فى حِمَاىَ ، فواجبٌ علىّ أن أصونَكِ وأن
أهيِّئَ لكِ مستقبلا مأمونا ... مع «طلالٍ»
مثلا أو مع غيره !

أبوخوندة : (وقد أحسَّ أن وجودَه غيرُ مستحَبٍّ) :
تأذَنُ لى يامولاى أن أنصرفَ لآنسَ فترة
بمجلِس «مُتَيَّمَ» ؟ !

ســـنان (عَجِلا) : إذا شئتَ !

(يخرج «أبو خوندة»)

عـــوالى (بعد صمت ، وهى تداعِبُ عِقْدَها) : «طلالٌ» ؟
«طلالٌ» لا يُعجِبُنى !

سنان (مبتهجا) : «طلالٌ» لا يعجبك ؟ ... ألم تقولى

من قبلُ إنكِ تحبِّينَه ؟

عـــوالى (وهى مازالتْ تداعب العِقْدَ) : غَيّرْتُ رأيى !

سنان : أمسألةُ رأيٍ هذه أم مسألةُ قلْب ؟

عـــوالى (وقـد حدَّقَتْ فيه) : قلت لكَ غيّرْتُ رأيى ... وكفَى ! ... « طلالٌ » ليس الرجلَ الذى يستهْوِينى ...

سنان : ومن هو الرجل الذى يستهويكِ ؟

عـــوالى : الذى تتمثل فيه معانى الرجولةِ كلها !

سنان : بالطبع لايكون متقدِّمَ السِّنّ ...

عـــوالى : ليس هذا بشرط ... السنُّ لادخلَ لها فى ذلك ... على أن السنَّ فى رجلٍ تختلفُ عنها فى آخَر ... لعل رجلًا فى الأربعينَ تخالُه فى الستين ، وكم من رجلٍ جاوزَ الستينَ وهو فى فُتُوَّةِ ابنِ الثلاثين ... أنتَ مثلا !

سنان : أنا ؟

عـــوالى : كم عمرُكَ ؟

سنان : كم تُقَدرينَ ؟

عـــوالى (مبتسمةً ، مداعبةً) : على الأقلِّ خمسة وستُّون ... سبعُونَ ... !

سنان (وقد تضايَقَ) : قولى : ثمانين ... تسعين ... أو قولى : مِائَة !

عـــوالى : لم تكدَّرْتَ ؟ ألم نقلْ إنه لادخلَ للسِّنّ ؟ وأنتَ ، لم تخبرْنِى برأيكَ فى المرأةِ التى تروقُكَ !

سنان : ولماذا تحرِصين على معرفةِ رأيى ؟

عـــوالى : حتى أبحثَ لكَ عن واحدة تليقُ بِكَ ...

سنان : أولا تعرِفينَ حتى الآنَ من هى المرأةُ التى تروقنِى !

عـــوالى : لاأعرفُها ؟

سنان : المرأةُ التى تروقنى هى الطيِّعَةُ التى لاتخالِف

لى أمراً ولا تتوانَى عن تنفيذِ ماأريد !

عـــوالى : تريدُها مسلوبةَ الإرادة ، فاقدةَ الشخصيّة ؟ عجيب أن يفضّلَ ذكىّ مثلُكَ امرأةً على هذا النحو ... ذوق غريب !

سنان : ذوق حسن ...

عـــوالى : ماأحسبُكَ تستطيع العيشَ مع امرأةٍ كهذه لحظة واحدةً ...

سنان : لِمَ ؟ أليستْ جوارىَّ كلُّهن على هذا النحو ؟ أو لست أُعَايِشُهُنَّ عيشةً طيبة ؟

عـــوالى (تبدأ تغضب) : أنت تَعُـدُّ النساءَ كلَّهُنَّ جوارىَ ! ... الطاعةُ دائماً ... الطاعة والخضوع ... رجل أنَانِىّ !

سنان : الطاعة هيِّنَة يا « عوالى » إذا تعوَّدَتْها المرأة ...

عـــوالى (صائحةً فى ثَوْر) : وإن لم تتعوّدْها ، فماذا تصنَع ؟

سِنان (وقد صاح ثائرا) : تتعودُها مُرْغَمَةً ! ...

عوالى (وهى لاتستطيع كَبْحَ جِماحِها) : مُرْغمةً ؟ ...

مُرْغمة ؟ ... كلُّ شىء عندك إرغام فى إرغام ؟!

(« طِلالٌ » يدخُل مندفعاً)

طِلال (لـ « سِنان ») : رسولُ الخليفة يطلبُ لقاءَكَ ،

وأنتَ تعرِفُ لماذا قَدِم ! ... اعتذرْ له

بأىِّ سبب ...

سنان : لاأستطيعُ الاعتذار ... (يصيح) : يا «مَكِينُ» !

يا «مكينُ» ! ...

(يدخل « مَكينٌ »)

قلْ للرسول : إن «عوالى» ستكونُ فى قصرِ الخليفة غداً ،

وإنها تأخَرَتْ عن الذهاب لمرَضٍ أَلَمَّ بها ،

وقد عُوفِيَتْ منه ... اخْرُجْ !

(« مَكينٌ » ينحنى ويغادِرُ البَهْو ، وهو يقول :)

مكين : أمرُ مولاى !

سنان (لـ « عوالى ») : غداً تكونين فى قصرِ الخليفة ، أعِدِّى نفسَكِ لهذا ...

عـوالى (بعَزْمٍ وإرادة) : كلا ... لن أذهبَ !

سنان : تَعْصِينَ أمرى ؟

عـوالى : نعم ، أعصِى أمرَكَ ! ... لأنى أحبُّ « طِلالا » ...

طِـلال (بشَغَف) : « عوالى » !

(تذهب إليه ، ينظر إليها فى هُيامٍ)

عـوالى (بلهجة آليَّةٍ ثائرة ، لـ « طِلال » :) نعم ، أحبُّكَ يا « طلالُ » ... أحبُّك ... أحبُّك ...

(لـ « سنانٍ ») : أسامع؟ أقول لك : أحبُّه ! ... أحبُّه !

سنان (وقـد هجَمَ عليها وصَفعَها) : آخرَسى أيتها الخبيثةُ ، آخرَسى أيتها الكاذبة !

عـوالى : آه ! ... (وقـد أخفتْ وجهَها فى يَدَيها)

طـلال : عمى ! ماذا صنَعْتَ ؟ تصفَعُها ؟ كيف تصفَعُها ؟

سنان : أصفَعُها وأصفَعُكَ أنتَ أيضا!

طـــلال : لابدَّ أن أنتَقِمَ لها . . .

(«طلال» يجرِّدُ سيفَه فى وجهِ عمِّه، «سنان» يتضاحك، «عوالى» تنظُر إلى كِلَيْهما)

سنان (وهو واقفٌ مكانه لايبالى) : تَنْتَقِمُ لها ؟ تعالَ جَرِّبْ !

عـوالى : لا . . . لا . . . أنا التى سأنتقمُ لنفسى . . . هاتِ السيفَ يا «طلال» !

طـــلال : «عوالى» . . . دَعينى ! (لـ «سنان») : دافعْ عن نفسِك !

عـــوالى : لا . . . لا . . . أنا التى سأنتقمُ لنفسِى !

سِـــنان (لـ «طلال») : دعْها تنتقمْ لنفسِها أيها الطفلُ !

طـلال : طفلٌ ! . . . أطفلٌ أنا ؟

(«طلال» يَهجُم على عمه، شاهراً سيفه . . . «سنان»

يخطف السيفَ منه خَطْفَةً ماهرة ، ثم يحمل «طِلالا» ، ويُلْقِيه على الأريكة)

سـنان : (لـ «طـلال») : تبيّنْ أولًا من هو الذى تهجُمُ عليه ... !

(«طلال» يقوم وهو يصيحُ كأنه يبكى ، يقول :)

طـلال (وهو خارج) : سأذهبُ إلى الخليفة أشكوكَ ، وسأُفْضِى إليه بكلِّ شىء !

(يخرج)

سنان (لـ «عوالى» ، وهو يناوِلُها سيفَ «طلال») : تعالَىْ انتَقِمى لنفسك ! ... صَدْرِى أمامَكِ ... أُقسِمُ لكِ بشرفى إنى لن أدافعَ عن نفسى !

عـوالى : لن تدافعَ عن نفسِك ؟ ! لا ... دافعْ عن نفسك !

(وهى متأهبةٌ للهجوم عليه)

سترى أن الشخصَ الذى يواجهُك لا يقلُّ

شجاعةً ومهارةً عن أشجعِ فارسٍ نازَلْتَه فى
مَيْدانِ الحرب ! ... قلت لك : دافعْ عن نفسك !

سِنان (وهو يعرّض لها صدرَه ، مقتربًا منها) :
« عوالى » ... تعالَىْ اضرِبى ... اغسِلى الإهانةَ
التى أهنْتُكِ بها ... كيف تُغْمِضينَ على
إهانة كهذه ؟ ... قلتُ لكِ : تعالَىْ !

عـــوالى : وَحْش ... وحش ...

سنان (وقد اقـتربَ منها) : حقا أنا وحش ، ولـكن
أؤكدُ لكِ أن هذا الوحشَ لم تبلغْ به النذالةُ
أن يرفَعَ يدَه عليك ، وفى رأسِه مُسْـكَةٌ من
عقـل ! ... لم أكن فى وَعْيي حين صنعتُ بكِ
ما صنعتُ ! ... وجدتُنى شُعلةَ نارٍ حامية ، كلُّ
شىء أمامى كان يـتراءَى لى أحمرَ ملتهِبا ! ...
أحسست أن نِصالًا تهاوَتْ على قلبى ، فهى
تمزّقه إرْبًا إرْبًا ! ... « عوالى » ! ... « عوالى » ! ...

عـــوالى : أكرَهُكَ ... أكرهك ... أكرهك ...

(ترمى بنفسِها على صدرِه باكيةً ، يحتَضِنها فى شدة ... يتعانقان عِناقاً بالغاً ... « ســنان » يقبِّل « عوالى » فى نَهَم ... يحمِلها ويخرج بها من باب خَفِيٍّ صغير جارياً ... لا يكاد يتوارى حتى يدخلُ الوزيرُ « ناصر الدين » مندوبُ الخليفة ، خلفه « طلالٌ » و « عِكْرِمَةُ » السيَّاف)

ناصر الدين (لـ « طلالٍ ») : مسألةٌ عجيبة !

طــلال : أنا شرحتُ لسيدى الوزيرِ كلَّ ماكان ... لابدَّ أن يكونَ عمى قد جُنَّ ... جُنَّ حقا ... اصنعْ جميلا معى ونجِّها من براثِنِ هذا الوحش !

ناصر الدين : أين الأميرُ « سنان » ؟

طِـلال (ينادى) : « مَـكِينُ » ! ... « مكين » ! ...

(يدخل « مكينٌ » مهرولا ، ينحنى أمامَ الوزير)

ناصر الدين (لـ « مكين ») : أين الأميرُ « سِنانٌ » ؟

مكين : الأمير ؟ ... الأمير ؟ ... لم نَرَهُ فى القصر !

طـلال : ليس فى القصر ؟ ... ما معنى هذا ؟

(« مكين » وقد سمع وقْعَ حوافِرَ ، يُهْرَعُ إلى النافذة)

مكين (وهو ينظُر من النافـذة مدهوشاً متعجبا) :

الله ! ... مولاىَ الأميرُ ، مع الأميرةِ « عوالى » ،

على صَهْوَةِ جوادٍ ، يَنْهَبُ الأرضَ !

طـلال : « عوالى » ؟!

ناصر الدين : « سنانٌ » و « عوالى » ؟

(يُهْرَعُ الوزيرُ و « طلالٌ » إلى النافذة)

طـلال (وهو يتطَلَّعُ) : الجـوادُ يَطِـيرُ بهـما ... ...

سيقتلها حتْما !

(ينظُرُ فى ضراعَة إلى « ناصرِ الدين ») :

سيدى الوزير !

ثلاث مسرحيات : الصعلوك ، أبو شوشة ، الموكب .

(باللغة العامية)

عروس النيل : مسرحيه غنائية (باللغة العامية)

المخبأ رقم ١٣ : مسرحية ذات ثلاثة فصول

(باللغة العامية)

حورية البحر : مجموعة قصص للطلبة : (من منشورات

دار المكشوف ببيروت)

قال الراوى : مجموعة من القصص للنشء والأسرة :

(من منشورات المكتبة التجارية

الكبرى بالقاهرة)

عوالى : مسرحية عربية بالفصحى ، ذات ثلاثة

فصول : (من منشورات المكتبة

التجارية الكبرى بالقاهرة)

ب — فى الفرنسية :

غراميات سامى : (من منشورات جماعة الكُتَّاب

المعاصرين ـ طبع باريس)

حـــلم سمارا : (من منشورات هوروس بالقاهرة)

ج ـــ فى الألمـانية :

مجموعة قصص : (اختارها وترجمها المستشرق السويسرى الدكتور ويدمار)

تحت الطبع للمؤلف :

المنقذة !

مسرحية ، عن عصر المماليك ، بالفصحى

بنت الشيطان

وقصص أخرى